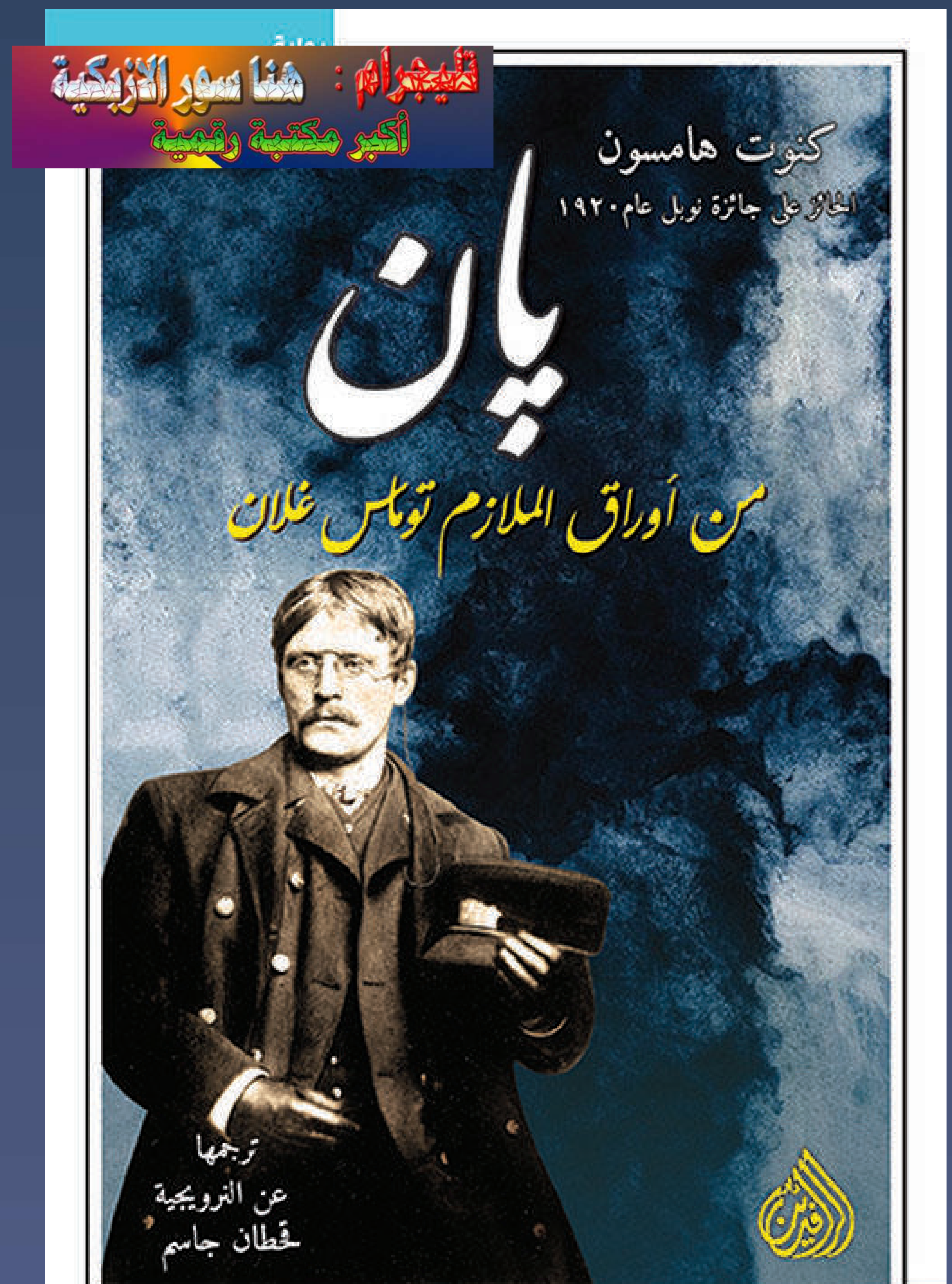
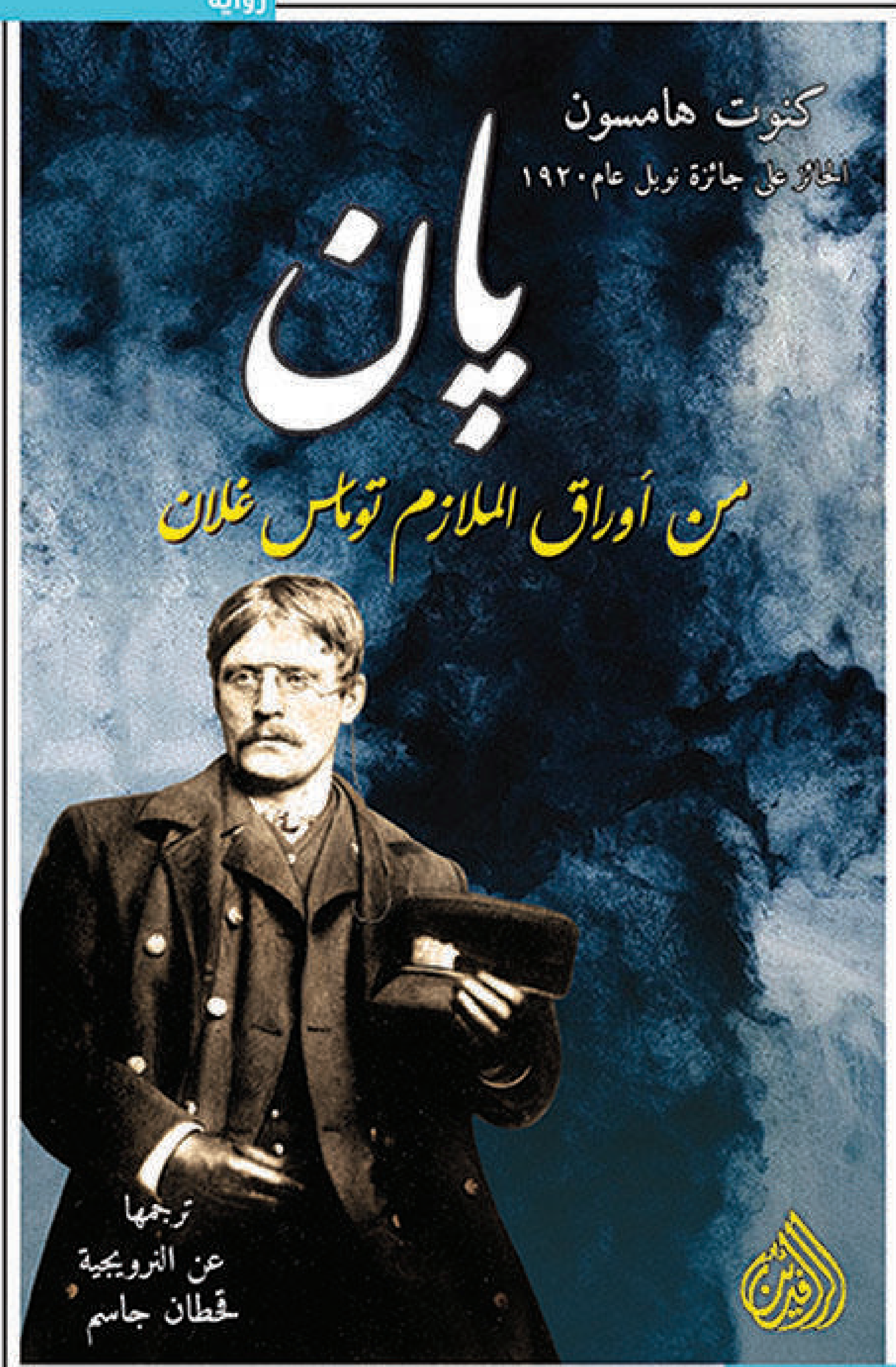

تليجرام : هنا سور الأزبكية
أكبر مكتبة رقمية
كنوت هامسون
الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٢٠
پان
من أوراق الملازم توماس غلان
ترجمها
عن النرويجية
قحطان جاسم

# الفصل 1



أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية


رواية
كنوت هامسون
الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٢٠
بان
من أوراق الملازم توماس غلان
ترجمها
عن النرويجية
قحطان جاسم
الرافدين


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

# الفصل 2

پان

من أوراق الملازم توماس غلان

رواية

كنوت هامسون

ترجمها عن النرويجية قحطان جاسم



بان

من أوراق الملازم توماس غلان

كنوت هامسون

ترجمها عن النرويجية: قحطان جاسم

عنوان الكتاب بالأصل:

*PAN*

*Af Løjtnant Thomas Glahns papirer,*

*København og Kristiania, Gyldendalske*

*Boghandel- Nordisk Forlag, 1913*

*By KNUT HAMSUN*

*Translated by Kahttan Jasim*

صدرت الطبعة الاولى للرواية عام 1894

الطبعة الأولى: يوليو ــ تموز، 2020 (1000 نسخة)

بيروت ــ بغداد

This Edition Copyrights@Dar Al-Rafidain2020

جميع حقوق الطبع محفوظة / All Rights Reserved ©

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخة أصلية من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون 9647714440520+ / 9647811005860+

info@daralrafidain.com

daralrafidain@yahoo.com

www.daralrafidain.com

dar alrafidain

Daralrafidain

دارالرافدين@daralrafidain

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 634 - 01 - 2



# الفصل 3

هذا الكتاب

الروائي النرويجي كنوت هامسون (1859-1952)، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام 1920، هو أحد أهم الكتاب الرواد في الأدب النرويجي الحديث، إضافة إلى مكانته البارزة في الأدب العالمي.

صدرت روايته «پان» عام 1894، بعد سنوات من صدور روايته الجوع عام 1890، التي جلبت له شهرة واسعة. تعتبر روايته «پان»، من الأعمال الأدبية المهمة، التي جذبت انتباه النقاد إليه. كتب الناقد النرويجي نورديل غريج:

«إن رواية «پان» التي صدرت لأول مرة عام 1894، هي انتصار كنوت هامسون الأدبي، إنها عمل شبابه الكبير والريادي. آلاف القراء توقدت عقولهم لحكاية الملازم غلان ونسائه: إدفاردا السمراء، الرائعة، التي أصبحت قدره، وإيفا المخلصة، التي انتهت إلى الانهيار. يقص كنوت هامسون عن الحب بطريقة لم نسمع بها سابقاً قط، وجعل من نوردلاند مملكة أحلام، أما الفصل عن الليالي الثلاث، فقد كانت لنا بمثابة أناجيل طبيعية، التي كانت مؤلمة وممتعة في أن تُقرأ في غرفة».

أما الناقد الدانماركي توم كريستينسن فيكتب هو الآخر بحماس: «مَن هو الآخر الذي يستطيع أن يكتب سوى هذا الرجل.. ومتى سيمكن كتابة كتاب مثل «پان» في المرة القادمة؟ كان في باريس عندما شرع بكتابة الرواية، قدرته تفور في الغابة والجبال، إنه مشهد مفتون بالأنثى. التهب عقله كنهار نوردلاندي صيفي أبدي».

تحتل ثيمة الإنسان المعاصر وعالمه النفسي وتناقضاته الداخلية وهو يواجه وجوده الآني، مكانة مركزية في أدبه. ولهذا نرى هامسون يهاجم في أدبه الجيل الذي سبقه من الأدباء النرويجيين كأبسن، كيلان وبيارنسوم... وغيرهم. وقد كتب وهو في 29 من العمر مقالة هاجم فيها الأسلوب الواقعي والاتجاه الأدبي التربوي الواقعي، وطالب بأدب غير تربوي أو واقعي، التي سعت اليه رواية «الجوع» ورواية «پان».

صدرت له أكثر من أربعين رواية وعدد من الدواوين الشعرية والمسرحيات والكتب النثرية. استمد هامسون العديد من العناصر الأسلوبية والجمالية في أدبه سواء من مواطنه ستاندبرغ، أو نيتشته أو دستوفيسكي، على الرغم من أنه كان ينكر أحيانا تاثير ستاندبرغ على أدبه. مع أنه كتب الكثير عن ستاندبيرغ. وكان ذلك التأثير واضحاً على روايته وتصوراته الأدبية وأسلوبيته الفنية، وخاصة في وصفه العميق للإنسان وتعقيدات حياته المعاصرة والتناقضات التي يواجهها.

قحطان جاسم

# الفصل 4

پان

## I

في الأيّام الماضية القليلة كنت أفكّر وأفكّر بنهار صيف نورلاند الأبدي. أجلس هنا وأفكّر به وبكوخ كنت أعيش فيه، وبالغابة خلف الكوخ، وأشرع بكتابة شيء لكي أقصّر الوقت ومن أجل تسلية نفسي. الوقت طويل جداً، لا أستطيع أن أجعله يمر بسرعة كما أريد، على الرغم من أنني لا أحزن على شيء، وعلى الرغم من أنني أعيش أسعد حياة. أنا راضٍ بكل شيء، وسنواتي الثلاثون ليست بالعمر الذي يحتسب؛ قبل أيّام استلمت زوجاً من الريش، أرسلهما شخص ما من مكان بعيد، من إنسان لم يكن، يقيناً، مديناً لي بهما، كانتا ريشتين خضراوين في ورقة بريد مثبتة بختم. وقد أسعدني ذلك أيضاً، لرؤية ريشتين خضراوين بمثل ذلك الاخضرار الشيطاني. والاّ فإنني لا أعاني من شيء آخر سوى بعض الروماتيزم أحياناً في قدمي اليسرى بسبب جرح طلقة قديم، الذي شفى منذ فترة طويلة.

أتذكّر، أن الوقت مرّ، منذ عامين، بسرعة كبيرة، أسرع بما لا يمكن مقارنته مع الآن، فقد انقضى الصيف قبل أن أعرف ذلك. كان ذلك قبل عامين، في 1855، سأكتب عنه لأُمتّع نفسي، حيث جرى لي أمر، أو أنني حلمت بهذا.

نسيت الآن العديد من الأشياء التي تعود إلى تلك التجارب، لأنني منذ ذلك الحين نادراً ما فكرت بها. لكنني أتذكّر أن الليالي كانت منيرة جداً. كما بدت لي أشياء كثيرة غير طبيعية. كان للعام اثنا عشر شهراً، لكن الليل صار نهاراً، ولم يكن ممكناً أبداً رؤية نجمة في النهار. وكان الناس الذين قابلتهم غريبين،

وذوي طبيعة مختلفة عن الاشخاص الذين عرفتهم من قبل؛ بين الحين والآخر كانت ليلة واحدة كافية لجعلهم يقفزون بكل روعتهم، كبار ناضجين وبالغين. لم يكن هناك أي سحر في هذا، لكنني لم أُجرب هذا من قبل. أوه، لا.

في بيت كبير مطلي بالأبيض عند البحر، قابلت إنسانة شغلت أفكاري لفترة وجيزة. لم أعد أتذكّرها باستمرار، لا، ليس الآن، لقد نسيتها تماماً. لكنني من ناحية أخرى، أفكّر في كل شيء آخر، بصرخة طيور البحر، وبصيدي في الغابات، بلياليِّ، وبكل ساعات الصيف الحارة؛ بالمناسبة، كان ذلك بمصادفة بحتة، أنني تعرفت عليها، وبدون تلك المصادفة، لما كانت يوم واحد في بالي.

كان بوسعي أن أرى من كوخي مجموعة من الجزر، من الجزر الصغيرة، من أرصفة البحر، وجزءاً صغيراً من البحر، بعض قمم الجبال الساطعة، وخلف الكوخ تقع غابة، غابة واسعة. أصبحت ثملاً من الفرح والامتنان من رائحة الجذور والأوراق، ومن الرائحة الكثيفة لأشجار الصنوبر، التي تذكرني برائحة اللب؛ في الغابة بدءاً جاء كل شيء إلى داخلي بهدوء، أصبحت روحي مطمئنة ومليئة بالقوة. كنت أمشي نهاراً بعد نهار عبر الروابي وإلى جانبي إيسوب، ولم أرغب في شيء سوى مواصلة الذهاب إلى هناك يوماً بعد يوم، على الرغم من أنه لا يزال هناك ثلج، والوحل ليّن فوق نصف الحقل. كان إيسوب رفيقي الوحيد؛ والآن عندي كورا، لكن حينذاك كان عندي كلبي، إيسوب، الذي أطلقت عليه النار لاحقاً.

في أحيان كثيرة، في المساء، عندما أعود إلى الكوخ ثانية بعد الصيد، كان شعوري الدافئ بالمنزل يخترقني من أعلى إلى أسفل، نعم، ويدخل أعماقي في هزّات حميمة، وكنت أمشي وأثرثر مع إيسوب، كم هي جيدة حالنا. قلتُ: نشعل الآن ناراً ونشوي لنا طيراً هنا على الوجاق. فما هو رأيك في ذلك؟ وعندما تم كل ذلك، وتناول كلانا الطعام، تسلل إيسوب إلى مكانه خلف الوجاق، بينما أشعلت غليوني واستلقيت على الديوان لفترة وأصغيت إلى الهمس الخامد في الغابة. كان هناك رذاذ خفيف في الهواء، وكانت الريح

تعصف باتجاه الكوخ، وكان بإمكاني أن أسمع بوضوح صوت طائر القطا من بعيد في الرابية. خلاف ذلك كان كل شيء هادئاً.

نمتُ هناك مرات عديدة، واضطجعت، وكنت مرتدياً ملابسي بالكامل، مثلما أقف وأمشي، ولم أستيقظ ثانية حتى بدأت طيور البحر بالصراخ. عندما نظرت من النافذة، كان بإمكاني رؤية الأبنية البيض الكبيرة للموقع التجاري، ومصنع بيرة سيريلوند، ومحل الأشياء المستعملة(1)، حيث كنت أشتري خبزي، وبقيت مستلقياً للحظة مندهشاً من أنني كنت هنا في كوخ في نورلاند، على حافة غابة.

ثم نفض إيسوب جسده الطويل النحيل قرب الوجاق، وهزّ طوق رقبته، وتثائب وحرّك ذيله، وقفزت واقفاً بعد تلك الساعات الثلاث ــ أو الأربع من النوم، مرتاحاً ومليئاً بالفرح على كل شيء.

على هذا النحو مرت ليال عديدة.

## II

يمكن أن تمطر أو تهب عاصفة، لا أهمية لهذا، فغالباً ما يمكن لفرح بسيط أن يسيطر على أحد في يوم ممطر ويجعله يعتزل وحيداً مع سعادته. يقف المرء ويتظاهر أنه يتطلع مباشرة إلى الأمام، وبين الحين والآخر يضحك بصمت وينظر حوله. بماذا يفكرُ؟ بلوح زجاج صاف في نافذة، بشعاع الشمس في اللوح، بمنظر جدول صغير، أو ربما بصدع أزرق في السماء. لا حاجة أن يكون أكثر من هذا.

في أوقات أخرى، حتى التجارب غير العادية لا يمكنها أن تنفع في تحرير أحد من حالة مزاجية متكدرة وبائسة؛ يمكن للمرء أن يجلس وسط صالة رقص

واثقاً، لا مبالياً، وغير متأثر. لأنّها أعماقه الخاصة به، هي التي مصدر الحزن والسعادة.

أتذكّر يوماً محدداً. نزلت إلى الشاطئ، وقد باغتني المطر، ودخلت إلى مستودع قوارب مفتوح وجلست لفترة. دندنت قليلاً، لكن بدون فرحة وبدون رغبة، لمجرد قضاء الوقت. كان إيسوب معي، جلس ليُصغي، توقفت عن الدندنة وأصغيت أيضاً. أصوات في الخارج، أشخاص يقتربون. إنها مصادفة، مصادفة طبيعية للغاية! جاءت مجموعة تتألف من رجلين وفتاة وهم يحنون رؤوسهم إليّ. كانوا ينادون على بعضهم وهم يضحكون:

«أسرع! هنا يمكننا أن نكون في الخفاء لفترة طويلة».

نهضتُ.

كان أحد الرجلين يرتدي صدرية قميص بيضاء، غير مُنّشاة، التي غدت علاوة على ذلك مبللة من المطر الآن، وتهدّلت كلياً. وفي تلك الصدرية يوجد مشبك(2) من الماس. كان يلبس حذاءً طويلاً مدبباً، الذي بدا واسعاً بعض الشيء. ألقيت التحية على الرجل، كان السيد ماك، التاجر، الذي تعرفت عليه في محلات الملابس المستعملة، حيث اشتريت الخبز. حتى أنه علاوة على ذلك دعاني لزيارة عائلته ذات مرة، دون أن أسكن هناك بعدُ.

«آه، هذا أنت!»، قال، عندما رآني. «كنا في طريقنا إلى المطحنة، وكان علينا أن نرجع. أي طقس، هه؟ لكن متى تأتي إلى سيريلوند، يا عزيزي الملازم؟»، لقد تخيل هذا الرجل القصير، ذو اللحية السوداء، الذي كان يرافقه، الطبيب، الذي سكن قرب كنيسة آنك.

رفعت الفتاة الخمار إلى مستوى فوق أنفها، وشرعت تتحدث بخفوت مع إيسوب. لاحظت سترتها، وكان بإمكاني أن أرى من خلال البطانة وثقوب الأزرار أنها صُبغت. قدمها السيد ماك أيضاً، إنها ابنته واسمها إدفاردا.

ألقت إدفاردا نظرة علي من خلال الخمار، ثم تابعت حديثها الخافت مع الكلب وقرأت على طوق عنقه:

«أحقا، أن اسمك إيسوب، أنت.... يا دكتور، من كان إيسوب؟ كل ما أتذكّره أنه قام بتأليف حكايات. ألم يكن من سكان فريجيا؟ لا، لا أعرف».

إنها طفلة، طالبة مدرسة. نظرت إليها، كانت طويلة، لكن بدون قوام، حوالي خمسة عشر عاماً، ستة عشر، ذات يدين طويلتين سمراوين بدون قفاز. لعلها قد بحثت في هذه الظهيرة في معجم عن إيسوب، لكي يكون جاهزاً لديها.

سألني السيد ماك حول صيدي. ما الذي أصطاده أكثر؟ كان بوسعي الحصول على أحد قواربه في أي وقت ليكون تحت تصرفي، لم يكن عليّ إلا أن أقول له ذلك. لم يقل الطبيب كلمة واحدة. عندما غادرت المجموعة، انتبهت إلى أن الطبيب كان يعرج ويستخدم عصا.

سرت إلى المنزل، بنفس المزاج الفارغ السابق ودندنت من اللامبالاة. لم يُحدث هذا اللقاء في سقيفة القارب أي فرق على تفكيري؛ الشيء الوحيد الذي أتذكّره أفضل من كل ذلك هو صدرية قميص السيد ماك المبللة، وفيها المشبك الألماسي، كان مبللاً هو أيضاً وبلا لمعان.

## III

كانت تقف أمام كوخي صخرة رمادية عالية. وكان لها تعبير وديّ تجاهي، وكانت، كأنها تراني، عندما أصل تتعرف عليّ ثانية. كنت أرغب أن يكون طريقي، حين أخرج في الصباح، ماراً بهذه الصخرة، وكأنما كنت أترك صديقاً هناك، سينتظرني حتى أعود.

في أعالي الغابة بدأ الصيد. ربما أطلق النار على شيء ما وربما لا..

كان البحر مستلقياً في هدوء شديد أمام الجزر. كنت أقف وأنظر إليه من التلال، عندما كنت فوق الذرى العالية، عدّة مرات. بدت السفن في الأيّام الهادئة بلا حركة تقريباً، كان بوسعي أن أرى نفس الشراع لمدة ثلاثة أيام، صغيراً وأبيض كنورس فوق الماء. لكن، ربما، إذا غيرت الرياح اتجاهها فجأة، ستختفي القمم البعيدة تقريباً. كانت هناك عاصفة، عاصفة الجنوب الغربي، مشهداً كنت أتفرج عليه. كل شيء التفّ في دخان، اندمجت الأرض والسماء معاً. هدر البحر في رقصات هواء مشوّهة، ورسم أشكالَ رجالٍ، خيولاً وأعلاماً مرفرفة في الهواء. وقفت في ملجأ تحت مطرقة جبل وفكّرت بأشياء مختلفة كثيرة؛ كانت نفسي متوترة. الله يعلم، فكرتُ مع نفسي، ماذا أكون شاهداً عليه اليوم، ولماذا يفتح البحر نفسه أمام ناظري؟ ربما أراقب في هذا الوقت الجزء الداخلي من دماغ الأرض، وكيف يعمل، وكيف يفور! كان إيسوب قلقاً، وبين الحين والآخر يرفع بوزه ويتشمّم بنوع من الانزعاج، مرتعشاً بحساسية في ساقيه، وعندما لم أتحدث إليه، يضع نفسه بين قدميّ ويتطلع إلى البحر كما أفعل. لا صراخ، ولا كلمات بشر يمكن سماعها في مكان ما، لا شيء، سوى هسيس الريح الثقيل حول رأسي. وبعيداً كان هناك جلمود صخري، يقف هناك وحيداً، عندما يهتاج البحر أعلى من ذلك الجلمود، يرتفع كلولبٍ مجنون، لا، كإله بحر نهض مبللاً إلى الأعلى ونظر إلى العالم، وشخر بحيث يقف الشعر واللحية كطوق حول رأسه. ثم غطس تحت الموج ثانية.

وفي قلب العاصفة أقلعت سفينة بخارية سوداء صغيرة من البحر...

عندما ذهبتُ بعد الظهيرة إلى رصيف الميناء، كانت هذه السفينة البخارية السوداء الصغيرة قد دخلت الميناء؛ كانت سفينة بريد. كان ناس عديدون موجودين على رصيف الميناء لكي يراقبوا هذا الضيف النادر، وقد لاحظت، أن الجميع، دون استثناء، لديهم عيون زرق، مهما يكن اختلافهم عادة. على مسافة فتاة ذات شال صوفي أبيض على رأسها كانت تقف على مسافة بعيدة ما؛ كان شعرها فاحماً للغاية، وانحرف الوشاح الأبيض بشكل غريب عن

الشعر. نظرت إليّ بفضول، إلى ملابسي الجلدية، إلى بندقيتي. عندما تحدثت إليها، أصبحت محرجة وأشاحت بوجهها عني. قلت: يجب عليك دائماً ارتداء هذا الوشاح، إنه يناسبك. بنفس الوقت انضم إليها رجل قوي القامة يرتدي قميصاً أيسلندياً، وناداها إيفا. كان من الواضح أنها ابنته. كنت أعرف هذا الرجل مفتول القامة. إنه الحداد، حداد المنطقة. وقد ركب مكبساً جديداً قبل بضعة أيّام في واحدة من بندقياتي...

فعل المطر والرياح فعلهما وأذابا الجليد. هيمن لعدة أيّام جو بارد وغير مسالم على الأرض، انكسر غصن متعفن، وتجمعت الغربان على مجموعات وصرخت. لم يطل الأمر طويلاً، فالشمس كانت على مقربة، لقد استيقظت في صباح خلف الغابة. عندما تشرق الشمس، تضع خطاً جميلاً في داخلي من الأعلى حتى الأسفل. ألقيت البندقية على كتفي بفرح صامت.

## IV

في هذا الوقت، لم أكن أعاني من الحاجة إلى القنص، وأطلقت النار على ما أريد، أرنب، قطاة، طائر الترمجان (3)، وعندما حصل أن أكون عند الشاطئ وتجيء قبلها مجموعة من هذا النوع أو ذاك من طيور البحر، فإنني كنت اأطلق النار عليها أيضاً. كانت أوقاتاً طيبة، صارت الأيّام أطول، والهواء أكثر إنعاشاً؛ حزمت عدّة أشياء لبضعة أيّام وانطلقت إلى الجبال، إلى قمم الجبال. التقيت رعاة أيائل وحصلت على جبن منهم، جبن دسم ذي نكهة أعشاب. كنت هناك عدّة مرّات. وعندما أعود إلى البيت ثانية، كنت أصطاد دائماً طائراً أو آخر وأضعه في جرابي. جلست وربطت إيسوب. على مسافة ميل تحتي رأيت البحر؛ كانت سفوح الجبال سود ومبللة بالماء، الذي كان يهطل حتى الأسفل منها، كان يقطر ويهطل إلى الأسفل بنفس اللحن الصغير. تلك الألحان الصغيرة القصية فوق التلال قصّرت عليّ العديد من اللحظات، عندما كنت أجلس وأنظر حولي. الآن تتدفق هذه النغمة الصغيرة اللانّهائية هنا في

عزلتها، فكرتُ، ولا أحد يسمعها، ولا أحد يفكر بها، مع أنها توشوش هنا لنفسها كل الوقت، كل الوقت! ولم أعد أحسب أن الجبال كانت معزولة تماماً، ما دمت أنني أسمع هذا الوشوشة. بين حين وآخر كان يحصل شيء؛ رعد يهزّ الأرض، كتلة صخرية تنفصل وتسقط باتجاه البحر، مخلفة وراءها أثراً من غبار دخاني؛ يتشمّم إيسوب باتجاه الريح ويستنشق باندهاش الرائحة المفعمة بالعرق، التي لم يكن يفهمها. عندما تكون مياه الجليد الذائبة قد حفرت أخاديد في سفح التل، فطلقة واحدة أو حتى صرخة حادة فحسب، تكفي لفصل كتلة كبيرة منها وتجعلها تهوي...

كان يمكن أن تنقضي ساعة، وربما أكثر، مرّ الوقت بسرعة جداً، أطلقت إيسوب وألقيت جرابي على الكتف الأخرى وتوجهت إلى البيت. صار الوقت متأخراً. في أسفل الغابة واجهت مجبراً دربي القديم المعروف، شريط ضيق من الدرب ذو منعطفات فائقة الغرابة. تابعت كل منعطف وأعطيت نفسي وقتاً، لم أكن على عجلة، لم يكن أحد بانتظاري في البيت؛ حرّ كحاكم ذهبت إلى هناك وتوجهت وتسكعت في غابة مسالمة، كما أريد تماماً، كما يقال. كل الطيور صمتت، باستثناء طائر قطا كان ينادي من بعيد، إنه ينادي دائماً.

خرجت من الغابة ورأيت شخصين أمامي، شخصين متجولين، لحقت بهما، أحدهما كانت الآنسة إدفاردا، عرفتها وسلمتُ عليها، وقد رافقها الطبيب. كان عليّ أن أُريهما بندقيتي، تفحصوا بوصلتي (كومباسي)، وجرابي. دعوتهما إلى زيارة كوخي، ووعدا أن يأتيا ذات يوم.

الآن حلّ المساء. ذهبت إلى البيت وأشعلت النار، وشويت طائراً، وتناولت وجبة طعام. غداً سيأتي نهار آخر...

هدوء وصمت في كل مكان. بقيت مستلقياً طوال الليل وأنظر من النافذة. كان وميض ساحر يستريح فوق الحقول والغابة، والشمس غابت وصبغت الأفق بضوء أحمر رائع، الذي بقي عالقاً كالزيت هناك. كانت السماء صافية

ومفتوحة في كل مكان؛ حدقت في ذلك البحر الرائق، وكأنني مستلقٍ وجهاً لوجه مع قاع العالم، وكما لو أن قلبي يخفق بشدة نحو هذه الأعماق العارية، وكنت في البيت هناك. فكرت مع نفسي، الله يعلم، لماذا يكتسي الأفق هذا المساء باللون الأرجواني والذهبي، وفيما إذا لم تكن هناك في أعالي العالم حفلة، حفلة بأسلوب رائع، مع موسيقى من النجوم، وقوارب مسرعة في أسفل الأنهار. يبدو الأمر كذلك! ـ وأغلقت عيني، وتتبعت القوارب، وأبحرت الأفكار تلو الأفكار في ذهني....

تجولت ولاحظت كيف أن الثلج تحول إلى ماء، وإلى أي حدّ تفكّك الجليد. أيّام عديدة لم أستخدم بندقيتي حتى مرة واحدة، لما كان لدي طعامٌ كافٍ مسبقاً في كوخي، كنت أتسكع فحسب بالقرب من الكوخ في وقت فراغي، وأترك الوقت يمضي. وأينما اتجهت، كان هناك الكثير مما يُرى ويُسمع، يتغير كل شيء قليلاً كل يوم، حتى أجمات الصفصاف ونبات العرعر كانت تقف بانتظار الربيع. خرجت مثلاً، إلى الطاحونة، لا تزال مغطاة بالجليد، لكن الأرض حولها داستها أقدام على مدى سنوات، وكانت تشهد على أن بشراً كانوا يأتون في أيّام الخير بأكياس الحبوب على ظهورهم ليطحنوها. ذهبت مثل الناس إلى هناك، كان هناك العديد من الحروف والتواريخ المنقوشة على الجدران أيضاً.

حسناً، إذن!

## V

هل عليّ أن أكتب أكثر؟ لا، لا. القليل فحسب من أجل تلهية نفسي، ولأنّه يقصّر من وقتي أن أتحدث عن كيف جاء الربيع قبل عامين، وكيف بدا الحقل. بدأت الأرض والبحر يبعثان رائحة قليلة، إنهما يبعثان رائحة حمضية كبريتية عذبة من الأوراق القديمة، التي تعفنت في الغابة، والحدآن تطير والقش في مناقيرها لبناء أعشاشها. أيّام أخرى وتبدأ الجداول بالامتلاء والرغوة، ويمكن رؤية هذه أو تلك من الفراشات، ويعود صيادو الأسماك إلى بيوتهم من مواقع

صيدهم. وصل قاربا التاجر محمّلان بالسمك، وألقيا المرساة عند مواقع التجفيف؛ وهناك انبثقت فجأة حياة وحركة في أكبر الجزر، حيث ينبغي تجفيف السمك. رأيت كل ذلك من نافذتي.

لكن لم تصل إلى كوخي أية ضوضاء، كنت وأبقى وحيداً.

بين حين وآخر يمر إنسان، رأيت إيفا، ابنة الحداد، لقد ظهر نمشٌ على أنفها.

«إلى أين ذاهبة؟»، سألتُ

«إلى غابة الحطب»، أجابت بهدوء.

كانت تمسك بيدها حبلاً لنقل الحطب، وكانت ترتدي وشاحها الأبيض على رأسها. لاحقتها بنظري، ولكنها لم تلتفـت.

وقبل أن أرى أحداً ثانية، مرّت عدّة أيام.

استعجل الربيع، وأضيئت الغابة. كانت بهجة كبيرة أن أراقب طيور السمّان وهي تجلس على قمم الأشجار وتحدق بالشمس وتصيح. في بعض الأحيان أكون قد استيقظت مسبقاً في الثانية صباحاً لأشارك في جو البهجة، المنبعثة من الطيور والحيوانات حين تشرق الشمس.

وصلني الربيع بالتأكيد، أيضاً، وكان دمي ينبض أحياناً، كأنما خطى أقدام. جلست في الكوخ وفكرت أن أبحث عن قصبات صيدي وخيطاني، لكنني لم أحرك ساكناً للقيام بأي شيء، كان اضطراب يدخل ويخرج من قلبي. عندئذ قفز إيسوب فجأة، وبقي واقفاً على قوائمه المتصلبة وأطلق نباحاً قصيراً. لقد قدم أشخاص إلى الكوخ، نزعت قلنسوتي سريعاً عن رأسي وسمعت فوراً صوت الآنسة إدفاردا في الباب. جاءت هي والطبيب بمحبة ودون تكلف لزيارتي، كما وعدا.

«نعم، إنه في البيت»، سمعتها تقول. تقدمت ومدت يدها إليّ بأسلوب فتاة تماماً.

«كنا هنا أمس أيضاً، لكن حضرتك(4) لم تكن في البيت»، أوضحت.

جَلست على تختي، فوق السجادة، وتطلعت في الكوخ؛ بينما جلس الطبيب إلى جانبي على الأريكة الطويلة. تحدثنا معا، وثرثرنا بارتياح، وحكيت لهم، من بين أمور أخرى، عن نوع الحيوانات الموجودة في الغابة، وأيّ منها بريّ ولم يعد ممكناً لي أن أصطادها، لأنّها كانت محمية. وحاليا صار اصطياد القطا ممنوعاً.

لم يقل الطبيب هذه المرة أيضاً كلمات كثيرة، لكن عندما وقع نظره على علبة البارود عندي التي زُينت بشخصية پان، راح يشرح أسطورة پان.

«لكن»، قالت إدفاردا فجأة، «على ماذا يعيشون، عندما يكون كل بريّ محمياً حالياً (من الصيد)؟».

«على السمك»، أجبتُ. «المقدار الكبير على السمك، يبقى هناك دائماً شيء للطعام».

«لكنك تستطيع، بالتأكيد، أن تأكل معنا»، قالت.

«في السنة الماضية، كان هناك إنجليزي، الذي شغل كوخك، وكان يأتي غالباً إلينا ويأكل معنا».

نظرت إدفاردا إليّ، ونظرت إليها. شعرت في تلك اللحظة بشيء يلمس قلبي، كتحية ودية صغيرة عابرة. حصل ذلك بسبب الربيع والنهار المضيء، فكرت بهذا منذ ذلك الحين. كما أثار إعجابي حاجباها المقوّسان.

قالت بعض الكلمات عن كوخي. كنت قد علقت أنواع الجلود وأجنحة الطيور على الجدران، فكان الكوخ يشبه من الداخل كأنه عرين أشعث. ونال رضاها. «بلى، إنه عرين»، قالت.

لم أكن أملك شيئاً قد يطلبانه، أستطيع أن أقدمه إلى الغريبين، فكرت بهذا، وأردت أن أشوي طيراً للتسلية فحسب، ويأكلانه ربما بأصابعهما، بطريقة الصيادين. وقد يكون هذا لقضاء وقت ممتع.

وشويت هذا الطائر.

تحدثت إدفاردا عن الإنجليزي. كان رجلا عجوزاً ووحيداً، كان يتحدث مع نفسه بصوت عال. كان كاثوليكياً، وأينما ذهب أو حلّ يحمل كتاب صلاة صغيراً في جيبه بحروف حمر وسود.

«كان أيرلندياً، إذن؟»، سأل الطبيب

«أيرلندي؟».

«نعم، طالما كان هو كاثوليكاً».

خجلت إدفاردا وتلعثمت وأشاحت بنظرتها:

«حسناً، بلى، ربما كان أيرلندياً».

بعد ذلك فقدت حيويتها. شعرتُ بالأسف لأجلها، وحاولت أن أصلح الموقف، فقلت:

«كلا، بالطبع، أنت على حق، إنه كان رجلاً إنجليزياً. الأيرلنديون لا يسافرون إلى النرويج».

اتفقنا على أن نقوم بالتجذيف يوماً ونرى مكان تجفيف (السمك)....

بعد أن رافقت ضيوفي قليلاً، رجعت مرة أخرى وجلست للعمل على أدوات الصيد الخاصة بي. كانت شبكتي معلقة على مسمار قرب الباب، وقد أصيب بعض من حلقاتها بأضرار بسبب الصدأ؛ شحذت بعض السنانير، وربطتها. ونظرت إلى الشباك الأخرى. ما مدى سوء القيام بعمل اليوم! أفكار لا علاقة لها بالعمل كانت تجيء وتذهب في رأسي، وبدا لي، أنني ارتكبت خطأً، بتركي الآنسة إدفاردا البقاء جالسة على التخت كل الوقت، بدلاً من أن أعرض عليها مكاناً على الأريكة. تمثل أمامي فجأة وجهها الأسمر وعنقها الأسمر؛ ربطت مئزرها إلى الأسفل بعض الشيء من بطنها كي تبدو طويلة الخصر، حسبما كانت الموضة. أثّر التعبير الفتي العفيف في إبهاميها برقة فيّ، تماماً كالودّ فيّ، وكانت التجاعيد القليلة فوق مفاصل الأصابع مفعمة بالرفق. وكان لها فم كبير ومتّقد.

نهضت وفتحت الباب وتنصتُّ. لم أسمع أي شيء. كما لم يكن أي شيء أصيخ السمع إليه. أغلقت الباب؛ وخرج إيسوب من موضعه ورأى اضطرابي. خطر على بالي أن أعدو خلف الآنسة إدفاردا وأطلب منها بعضاً من خيط حريري لكي أصلح شبكتي به؛ لم تكن ذريعة، كان بإمكاني أن أعرض أمامها الشبكة، وأُريها الحلقات الصدئة. كنت خارج الباب بالفعل، عندما تذكرت، بأنني أمتلك شخصياً خيطاً حريرياً، في دفتر حفظ الحشرات(5) حتى أكثر مما أحتاجه. دخلت ببطء ومثبط العزيمة ثانية، بما أنني شخصياً كنت أملك خيطاً حريرياً.

بمجرد دخولي في الكوخ، استقبلتني نفثة غريبة فيه. كأنني لم أعد وحدي.

## VI

سألني رجل إن كنت أقلعتُ عن الصيد؛ إذ أنه لم يسمع أية إطلاقة من الروابي، على الرغم من أنه مكث على فتحة في الجليد واصطاد السمك على مدى يومين. لا، لم أصطد أي شيء، لقد بقيت في المنزل في كوخي، حتى لم يعد بحوزتي أي طعام.

في اليوم الثالث ذهبت إلى الصيد. كانت الغابة قليلة الخضرة، ولها رائحة الأرض والأشجار، ومدّت بعض النباتات العطرية مسبقاً رؤوسها الخضر من البركة الجليدية. كنت مليئاً بالأفكار وجلست في أماكن عديدة. خلال ثلاثة أيّام لم أرَ أكثر من إنسان واحد، هذا السمّاك، الذي التقيته أمس. فكرتُ، لعلي ألتقي بأحد ما، عندما أذهب إلى البيت، في هذا المساء على حافة الغابة، حيث التقيت بالطبيب والآنسة إدفاردا في المرة السابقة. يمكن أن يتجولا هناك ثانية، ربما، وربما لا. لكن لماذا فكرت بهذين الشخصين بالذات؟ اصطدتُ بعض القبرات وأعددت واحدة على الفور، بعد ذلك ربطت إيسوب.

أثناء تناول الطعام، كنت في الحقل الجاف. كان الصمت سائداً على الأرض، ما عدا همساً خفيفاً للهواء وصوتاً لهذا أو ذاك من الطيور. استلقيت ونظرت إلى الاغصان المتهادية ببطء في مهب النسيم. انشغل الهواء الخفيف بعمله وحمل غبار اللقاح من غصن إلى غصن، وملأ كل تويج بريء. كانت الغابة بأكملها مبتهجة. تنقلت دودة ورقة خضراء، يرقة باتجاه النهايات على امتداد الغصن، تنقلت بدون توقف، كما لو أنها لا تستطيع أن تستريح. إنها لا ترى أي شيء تقريباً، رغم أن لديها عينين، وغالباً ما تنتصب وتتحسس في الهواء باحثة عن شيء تتكئ عليه؛ إنها تبدو كخيط قصير أخضر، يخيط حاشية بغرز بطيء، كي تبلغ الغصن. ربما تصل في هذا المساء تماماً إلى حيث ينبغي.

دائماً هدوء. انهض وأمضي، أجلس وأنهض مرة أخرى. الساعة حوالي الرابعة، وعندما تصبح السادسة، فإنني سأذهب إلى البيت، وأرى فيما أنني ألتقي بأحد ما. أمامي ساعتان مرة أخرى، وأنا مضطرب قليلاً مسبقاً وأنظف العشب والقش من ثيابي. أعرف هذه الأماكن، التي أجتازها، الأشجار، والصخور، التي تقف هناك مثلما سابقاً في وحدة. أوراق الأشجار تضج تحت قدميّ. والحفيف الرتيب والأشجار والصخور المعروفة كبيرة بالنسبة لي وأصبح ثملاً من الامتنان الغريب، بأن كل شيء يدخل معي، ويمتزج بي، أنا أحب كل شيء. التقطت غصناً يابساً ومسكته بيدي ونظرت إليه، بينما أنا أجلس هناك وأفكّر

بأشيائي. الغصن عفن تقريباً، وترك لحاؤه البائس انطباعاً فيّ، وشفقةً تتسرب إلى قلبي. وعندما أنهض وأمشي، لا أرمي الغصن بعيداً، بل أضعه وأقف وأفكّر به؛ وفي النهاية أنظر إليه نظرة للمرة الاخيرة بعينين مغرورقتين، قبل أن أتركه هناك.

وحلّت الساعة الخامسة. تظهر الشمس وقتاً خاطئاً لي، مشيت نحو الغرب كل النهار، ووصلت نصف ساعة تماماً قبل علامات شمسي عند الكوخ. كل هذا أنا منتبه إليه؛ لكن مع ذلك لا تزال لدي ساعة من الوقت حتى السادسة، ولهذا أنهض وأمشي مسافةً لمدة ساعة مرةً أخرى. تخشخش الأوراق تحت قدميّ. وعلى هذا النحو تمضي ساعة كاملة.

لمحتُ تحتي النهر الصغير والطاحونة الصغيرة، اللتين غطّاهما الجليد في الشتاء، أتوقف؛ المجرشة تدور، وأيقظني طنينها، أتوقف في مكاني تماماً وفي دفعة واحدة. أنا متأخر في الخروج! قلت بصوت مرتفع. يعتريني ألم، فأستدير بنفس اللحظة وأشرع بالعودة إلى البيت، لكنني مع ذلك أعرف، بأنني متأخر في الخروج. شرعت بالمشي بصورة أسرع، رحت أركض؛ يفهم إيسوب أنه آن الأوان، فيسحب الحبل، يجهدني معه، يحث نفسه ويكون مستعجلاً. تتطاير الأوراق الجافة حولنا. لكن عندما وصلنا إلى حافة الغابة، لم يكن أي أحد هناك. كلا، كل شيء كان هادئاً، لم يكن أي أحد هناك.

لا أحد هنا! قلتُ. وكان الأمر مع ذلك ليس أسوأ مما توقعته.

لم أبق واقفاً لفترة طويلة، بل مشيت، مجذوباً بكل أفكاري، تجاوزت كوخي، نحو سيريلوند، مع إيسوب وجرابي والبندقية ومع كامل عدّتي.

استقبلني السيد ماك بأكبر حميمية ودعاني إلى المساء.

## VII

أحسب أنني كنت أستطيع أن أقرأ نفوس الناس التي تحيطني، قليلاً، وقد لا يكون الأمر كذلك. أوه! وحين تكون لدي أيّام طيبة، يبدو لي أنني ألقي نظرة عميقة في نفوسهم، على الرغم من أنني لستُ كذلك. نجلس في صالة الضيوف، بعض الرجال، بعض النساء وأنا. وأحسب أنني أرى ما كان يحدث في داخل نفوس هؤلاء الناس وما يفكرون به عني. أضع شيئاً في كل تلميحة تندفع من عيونهم، وأحياناً يدفع الدم في خدودهم ويجعلها حمراً، وفي أحيان أخرى يتظاهرون بأنهم ينظرون إلى ناحية أخرى، لكنهم يراقبونني قليلاً من طرف العين. وأنا أجلس وأرى كل هذا، ولا أحد يعرف، بأنني أستشف كل نفس. حسبت لسنوات عديدة أن بوسعي قراءة نفوس البشر. لعل الأمر ليس كذلك....

بقيت كل المساء في صالة السيد ماك. كان بإمكاني الذهاب على الفور، لا يثير اهتمامي البقاء جالساً هناك؛ ولكن ألم آتِ إلى هنا بالضبط، لأن كل أفكاري جذبتني للمجيء إلى هناك؟ وهل كان بوسعي حينها أن أذهب في طريقي على الفور؟ لعبنا لعبة الويست(6) وشربنا تودي (7) بعد الطعام، وجلست وظهري في مواجهة غرفة الاستقبال وأحنيت رأسي إلى الأسفل، وكانت إدفاردا في رواح ومجيء خلفي. بينما الطبيب كان قد غادر إلى منزله.

عرض لي السيد ماك تنظيم قناديله الجديدة، أولى قناديل النفط التي كانت قد وصلت الشمال، مواد رائعة على قوائم ثقيلة من الرصاص، وكان يشعلها بنفسه كل مساء لكي يمنع كل مصيبة. تحدث أكثر من مرة عن جدّه القنصل: استلم جدّي القنصل ماك هذا الدبوس (المشبك) من يدي كارل يوهانس، قال، وأشار بإصبعه إلى دبوسه الألماس. لقد توفيت زوجته، وأراني لوحة عنها في إحدى الغرف الجانبية، زوجة ذات مظهر بسيط بقبعة شقراء وابتسامة لطيفة. كانت هناك في نفس الغرفة مكتبة للكتب، التي كانت تحتوي، إضافة إلى ذلك، على كتب فرنسية، التي بدت أنها وصلت عن طريق الإرث، كانت المجلدات مذهبة وجيدة، وقد وقّع العديد من أصحابها أسماءهم عليها. كان

بين الكتب العديد من النصوص التعليمية؛ كان السيد ماك رجلاً مفكراً. كان لا بد من دعوة اثنين من خدّام محله الصغير إلى شراب الويست؛ كانا يلعبان ببطء، وبدون ثقة، وتحدثا بدقة، مع ذلك ارتكبا أخطاء. أحدهما حصل على دعم من إدفاردا.

أطحت كأسي، وأصبحت حزيناً ونهضت.

«آه، لقد أطحت كأسي»، قلتُ.

انفجرت إدفاردا في ضحكة وأجابت:

«نعم، على الأرجح نرى ذلك».

طمأنني الجميع ضاحكين، بأنه لم يحصل شيء. حصلتُ على منشفة لأجفف نفسي بها، وواصلنا اللعب. بلغت الساعة الحادية عشر.

انبثقت في نفسي مشاعرُ قاتمة من الانزعاج بسبب ضحك إدفاردا. نظرت إليها ووجدت، أن وجهها أصبح خالياً من التعبير وقليل الجمال. أخيراً أوقف السيد ماك لعب الورق تحت ذريعة أن على الخادمين الذهاب إلى النوم، ولذا تمدد على ظهره على الأريكة، وبدأ يتحدث عن وضع لوحة على واجهة بنايته وسألني نصيحة حول الأمر. أي لون يتوجب عليه أن يختار؟ أحسست بضجر، أجبت باختصار: لوناً أسود، وبدون أي تفكير حول هذا، وقال السيد ماك حالاً نفس الشيء:

«لون أسود، بالضبط هو ما فكرت به بنفسي. مخزون من ملح وأواني فارغة، بحروف ثقيلة سود، هذا هو أنبل شيء... ألا تستلقين الآن يا إدفاردا؟».

نهضت إدفاردا وصافحتنا نحن الاثنين وقالت ليلة طيبة ثم ذهبت. بقينا جالسين. تحدثنا عن سكة القطار، التي تم الانتهاء منها العام الماضي، وعن أوّل خط تلغراف. الله يعلم، متى وصل التلغراف هنا إلى الشمال! صمت.

«كما ترى»، قال السيد ماك، «إنني بلغت شيئاً فشيئاً السادسة والأربعين من عمري وصرت أشيب الشعر واللحية. نعم، أشعر، أنني صرت عجوزاً! أنت تراني في النهار وتعتقد أنني شابّ؛ لكن عندما يحل الليل وأصبح وحيداً، أتهاوى كثيراً. ولهذا أجلس هنا في غرفة الاستقبال وأقوم بترتيب ورق اللعب يحدث بالتأكيد بعض الغش. هههه ههه».

«هل يتم ترتيب ورق اللعب ببعض الغش؟»، سألت.

«نعم».

بدا لي، أن بوسعي أن أقرأ في عينيه.

نهض، وقام بخطوة واحدة باتجاه النافذة ونظر إلى الخارج. كان يقف بانحناء شديد، وعنقه وقفاه مغطى بالشعر. نهضت أنا أيضاً. استدار نحوي واستقبلني بحذائه الطويل المدبب، غرس إبهاميه في جيبي صدريته ولوح قليلاً بذراعيه كأجنحة، وابتسم في نفس الوقت. ومن ثم عرض مجدداً علي مركباً تحت تصرفي ومدّ يده.

«بالمناسبة، دعني أرافقك»، أطفأ القناديل، «أريد الذهاب في نزهة قصيرة، ولا يزال الوقت غير متأخر».

خرجنا.

أشار إلى نهاية الشارع باتجاه بيت الحداد وقال:

«هذا الطريق! هذا هو الأقصر».

«لا»، أجبت، «الطريق حول أرصفة الميناء هو الأقصر».

تبادلنا بعض الكلمات حول الموضوع بدون أن نتفق. كنت مقتنعاً بأنني كنت على حق، ولم أفهم زعمه. في الخاتمة اقترح، أن كلاً منا يذهب في طريقه، وهذا الذي يصل أولاً، عليه أن ينتظر عند الكوخ.

انطلقنا. اختفى حالاً في الغابة.

مشيت بسرعة عادية وحسبت أن أصل خمس دقائق على الأقل قبله. لكن عندما وصلت إلى الكوخ، كان هو واقفاً مسبقاً هناك. وصاح مرحباً بي.

«كما ترى حضرتك! لا، إنني أسلك هذا الطريق دائماً، إنه في الحقيقة الطريق الأقصر».

نظرت إليه بدهشة كبيرة، لم يكن متعرّقاً ولا يبدو عليه أنه قد ركض. سلم عليّ على الفور، وشكر على الأمسية وعاد في نفس الطريق، الذي جاء منه.

بقيت واقفاً وفكرتُ: كم هو أمرٌ غريب! كان علي أن أمتلك قليلاً من التخمين للمسافة، وكنت قد قطعت كلا الدربين عدّة مرات، يا عزيزي ها أنت تغش مرة أخرى! أكان كل هذا ذريعة؟

رأيت ظهره يختفي في الغابة ثانية.

في اللحظة التالية مشيت خلفه، بحذر وبسرعة. رأيته يجفف وجهه طوال الدرب، ولم أعد أعرف أكثر، فيما أنه لم يكن قد ركض. راح يمشي الآن ببطء للغاية، وأبقيته تحت نظري، توقف عند بيت الحداد. اختفيت ورأيت انفتاح الباب، ودخول السيد ماك إلى البيت.

كانت الساعة الواحدة، ورأيت ذلك في البحيرة والعشب.

## VIII

مرت بعض الأيّام بأفضل ما يمكن، كان صديقي الوحيد هو الغابة والعزلة الشديدة. يا إلهي، لم أجرب أبداً أن أكون وحدي أكثر من أوّل تلك الأيّام. كان ربيعاً مكتملاً، عثرت على بعض الأزهار الربيعية وأزهار القنديل في الحقل، كما جاء طير الحسون وطير الغُويتن(8)، كنت أعرف كل الطيور. كنت في بعض الأحيان أخرج قطعتين من جيبي وأجعلهما ترنّان لكي أقطع حبل عزلتي. فكرتُ: ماذا لو قدم ديريك وإيسلين مشياً!

عند ذاك لم يعد الليل ليلاً، انغمر قرص الشمس بالكاد في البحر وظهر ثانية، أحمر، متجدداً، كما لو أنه قد سقط وغرق. كم يمكن أن تمر الليالي على غريبة؛ لا أحد يصدق هذا. جلس پان على شجرة وراح يراقبني، كيف سأتصرف؟ وهل كانت بطنه مفتوحة، وهل كان هو متكوماً على نحو، بحيث أنه جلس كما لو أنه يشرب من بطنه ذاتها؟ لكنه فعل كل ذلك لكي يراقبني فحسب، واهتزت كل الشجرة بسبب ضحكه المكتوم، عندما رأى، أن كل أفكاري هربت مني. كل شيء كان ينبض في الغابة، الحيوانات تتشمم، الطيور تنادي على بعضها، وإشاراتها ملأت الجو. وكانت هذه سنة طيران الخنافس، وامتزج طنينها بأزيز فراشات الليل، وقد ترددت كهمسة غادية ورائحة في أنحاء الغابة. وكم كان هناك الكثير مما يُسمع! لم أنم ثلاث ليال، وفكرت بديريك وإيسلين.

لاحظ، فكرت، يمكن أن يأتيا. وإيسلين ستجذب ديدريك نحو شجرة وتقول:

«قف هنا، ديدريك، انتبه، قم بحراسة إيسلين، أريد أن أجعل هذا الصياد يعقد رباط حذائي».

والصياد هو أنا، وهي تريد أن تومئ لي بإشارة من العينين كي أفهم. وعندما تأتي، يفهم قلبي كل شيء، ويكف عن الخفقان، إنه يدق أجراس الفرح. أما هي فعارية تحت الثياب من الرأس حتى القدمين، وأما أنا فأضع يدي عليها.

ـ اعقد رباط حذائي! تقول ملتهبة الخدين. بعد ذلك بقليل تهمس باتجاه فمي تماماً، نحو شفتي: أوه، إنك لا تعقد رباط حذائي، يا عزيزي، كلا، أنت لا تعقد.. لا تعقد.....

لكن قرص الشمس انغمر في البحر وظهر ثانية، أحمرَ، متجدداً، كما لو أنه قد غاص وغرق. والهواء مليء بالهمس.

بعد مرور ساعة تقول باتجاه فمي:

يجب أن أتركك الآن.

وعندما تذهب تلوّح لي، ووجهها لا يزال ملتهباً، رقيقاً ومبتهجاً. وتستدير مرة أخرى نحوي وتلوّح.

لكن ديدريك يتقدم من الشجرة ويقول:

«إيسلين، ماذا فعلتِ؟»، أنا رأيت هذا.

أجابت: ماذا رأيت، يا ديدريك؟ لم أفعل أي شيء.

«إيسلين، لقد رأيتُ، أنك قمت بهذا، قال هو ثانية. لقد رأيت هذا، يا إيسلين».

عندئذ تصدح ضحكة إيسلين عالية وفرحة خلال الغابة، وتمضي مع ديدريك، مليئة بالفرح والخطيئة من الرأس حتى القدمين. والى أين تراها ذاهبة؟ إلى غلام آخر، إلى صياد في الغابة.

كان منتصف الليل. حرر إيسوب نفسه من رباطه وراح يصطاد على مسؤوليته، وسمعتُ نباحه في أعلى الرابية، وعندما تمكنت أخيراً من إعادته، كانت الساعة الواحدة. أطلّت فتاة راعية، كانت تشدّ جراباً، وتدندن وتتطلع حولها. لكن أين هو قطيعها؟ وما الذي تبحث عنه في الغابة في وقت منتصف

الليل؟ لا شيء. لا شيء. ربما أنها هناك من الضجر، وربما من الفرح. فكرتُ: إنها سمعت نباح إيسوب وعرفت، أنني كنت في الغابة.

عندما جاءت، نهضتُ ووقفت ونظرت إليها، كم كانت نحيلة وشابة. وقف إيسوب أيضاً وتطلع إليها.

«من أين أتيتِ؟».

«من الطاحونة»، أجابت. لكن ما الذي كانت تفعله في ساعة متأخرة جداً من الليل في الحانة؟

«كيف تجرؤين على المجيء هنا في الغابة في وقت متأخر من الليل»، قلت، «أنت، الشابة والنحيلة جداً؟».

ضحكت وأجابت:

«أنا لست فتية جداً. عمري تسعة عشر عاماً».

لكنها لا يمكن أن تكون تسعة عشر عاماً، وأنا على قناعة أنها تكذب بعامين، وأنها كانت سبعة عشر عاماً فقط. لكن لماذا كذبت لتبدو أكبر عمراً؟

«اجلسي»، قلتُ، «واخبريني، ما اسمك».

جلست إلى جانبي وقد اعتراها الخجل وقالت، إن اسمها هنرييتا.

سألتُ:

«هل لديك عاشق، يا هنرييتا، وهل عانقك بعض الأحيان؟».

ـ نعم، أجابت بضحكة غامضة.

«كم مرة حتى الآن؟».

صمتت.

«كم مرة؟»، أكرر.

«مرّتين، قالت بصوت خافت».

سحبتها إليّ وسألتُ:

«كيف فعل ذلك؟ هل فعل ذلك على هذا النحو؟».

«نعم»، قالت، مرتعشة.

الساعة غدت الرابعة صباحاً.

## IX

لقد أجريت محادثة مع إدفاردا:

«سينزل المطر قريباً»، قلتُ.

«كم الساعة؟»، سألت.

نظرت إلى الشمس وأجبتُ:

«حوالي الخامسة».

سألت:

«هل يمكنك أن ترى الوقت بالضبط من خلال الشمس؟».

«نعم»، أجبتُ، «يمكنني رؤية ذلك». فترة صمت.

«لكن عندما لا ترى الشمس الآن، كيف تعرف الوقت إذن؟».

«حينها أتبع أموراً أخرى. فهناك المدّ والجزر، وهناك العشب، الذي يستقر لبعض الوقت، وتغريدة الطيور التي تتغير؛ بعض الطيور تبدأ بالغناء، عندما تسكت أخرى. ثم أرى الوقت في الأزهار، التي تنغلق ما بعد الظهر، في الأوراق، التي تكون خضراً لامعة أحياناً، وفي أحيان أخرى خضراً قاتمة؛ بالإضافة إلى ذلك، فأنا أعرف الوقت بالإحساس».

«هكذا هو الأمر إذن»، قالت.

انتظرت نزول المطر، ومن أجل إدفاردا، لم أكن أرغب أن أبقيها لفترة أطول في منتصف الطريق. رفعت قلنسوتي مودعاً. عندها أوقفتني فجأة بسؤال جديد، فبقيت. لقد احمّرت وسألتني من أجل ماذا كنت هنا حقاً، ولماذا ذهبت إلى الصيد، لماذا هذا ولماذا ذاك. لم أصطد إلا ما هو ضروري لطعامي، وتركت إيسوب يرتاح.

احمرّت وصارت ذليلة. عرفت أن شخصاً تحدث عني، وأنها سمعت هذا، وهي لم تتحدث من تلقاء نفسها. فأيقظت احساسي، بدت وحيدة وأذهلني، أنها كانت بلا أمّ، وأضفى ذراعاها النحيلان عليها مظهراً معيباً. وقد بدأ هذا يؤثر بي.

بالتأكيد، أنني لم أطلق النار كي أقتل، كنت أرمي لكي أعيش. كنت بحاجة إلى غزال(9) هذا اليوم، ولهذا فقد اطلقت النار على واحد وليس اثنين، لكنني أصطاد الآخر غداً. لماذا يتوجب علي أن أصطاد أكثر؟ عشت في الغابة، وكنت ابناً للغابة؛ تم استثناء اصطياد القطا والأرانب أيضاً في الأول من حزيران؛ ولم يعد لدي أي شيء أصطاده، حسناً، فاصطدت السمك وعشت عليه. كنت أريد أن أحصل على قارب من أبيها لكي أجذّف به.

بالتأكيد لا، لم أكن صياداً فحسب لكي أطلق النار، وإنما لأعيش في الغابة. كان هذا بالنسبة لي جيداً هناك، كنت أجلس على الأرض عندما آكل، لم أنهض وأجلس على كرسي، ولذا لم أطِح بكأسي. لم أمنع نفسي من أي شيء في الغابة، كان بوسعي أن أستلقي على ظهري وأغلق عيني، إن أردت، وكان بإمكاني أن أقول ما أريد هناك. وفي أحيان كثيرة يمكن للمرء أن يقول شيئاً، ويتحدث بصوت عالٍ، فبدا الأمر وكأنه حديث من قلب الغابة نفسها...

عندما سألتها، فيما أنها فهمت هذا، أجابت بنعم.

واصلت قول المزيد، لأن عينيها استقرتا عليّ. «كان عليهم فحسب معرفة كل هذا، الذي أراه في الحقل»، قلتُ. «أثناء الشتاء أجيء ماشياً وأرى، ربما آثار قطا على الثلج. فجأة تختفي الآثار، فالطيور طارت. لكن من خلال بصمات أجنحتها يمكن لي أن أرى، أي اتجاه طارت الطريدة، وأبحث عنها في الأعالي خلال وقت قصير. وفي كل مرة يملك هذا شيء جديد قليل بالنسبة لي. حوالي وقت الحصاد يمكن في أغلب الأوقات أن تكون الشهب هي التي تُراقب. ماذا، أفكّر عندئذ في وحدتي، هل كان هذا عالماً، الذي أصابته التشنجات؟ عالماً، الذي تمزق أمام عيني تماماً؟ وأنا ــ أنا الذي أُتيحت لي كي أرى شهاباً في حياتي! لكن عندما يحل الصيف، فربما يكون هناك حيوان صغير حيّ على كل ورقة شجر. بوسعي أن أرى، أن البعض بلا أجنحة، فلا تستطيع الذهاب إلى أي مكان، لذا عليها أن تعيش وتموت على ورقة الشجر الصغيرة هذه، حيث جاءت إلى العالم. فكر بهذا. أحياناً أرى الذباب الازرق. نعم، نسمع عن كل هذا بصورة قليلة جداً، لا أعرف، أن كنت تفهمين هذا».

«بلى، بلى، أفهم هذا».

«نعم نعم. وأحدق للحظة في العشب، وربما ينظر العشب بدوره إليّ، ما أدرانا؟ أنظر إلى ورقة عشب واحدة، إنها ترتعش قليلاً، وأحسب أن يكون هذا شيء ما؛ أفكّر مع نفسي: هنا تقف ورقة العشب هذه وترتجف! فلو كانت

هذه شجرة صنوبر التي أنظر إليها، فلربما لديها غصن يجعلني أفكّر قليلاً به أيضاً. لكن يحدث، أنني ألتقي ببشر أيضاً على العشب.

نظرت إليها، وقفت منحنية وكنت مصغياً. لم أتعرف عليها مرة أخرى. لقد كانت منتبهة إلى درجة، أنها لم تكن حذرة على الإطلاق، لكنها صارت مقرفة وعادية أن تنظر إليها، كانت شفتها متدلية إلى الأسفل.

«نعم، هكذا»، قالت وانتصبت واقفة.

«إنها تمطر»، قلت حينئذ.

«نعم، تصور، إنها تمطر»، قالت أيضاً وهي تغادر على الفور.

لم أرافقها إلى البيت، وسارت في طريقها وحيدة، وعجلت صاعداً إلى الكوخ. مضت بعض الدقائق، وبدأت تمطر بغزارة. فجأة أسمع أحد الناس جاء راكضاً خلفي. أتوقف وأرى إدفاردا. كانت قد أصبحت حمراء من الجهد الذي بذلته وابتسمت.

«لقد نسيت أمراً»، قالت لاهثة. «كان عن هذه الجولة إلى مكان التجفيف. الطبيب يأتي غداً، فهل لديك الوقت لذلك؟».

«غداً؟ نعم بالتأكيد، بلى، عندي وقت».

عندما غادرت، انتبهت إلى ساقيها الجميلتين الرشيقتين، كانتا مبللتين حتى الأعلى. وكان حذاؤها بالياً.

## X

لا زلت أتذكّر أحد الأيّام جيداً. كان هذا اليوم، عندما حلّ صيفي. بدأت الشمس تشرق مسبقاً في الليل وكانت تجفف الأرض المبللة حتى الصباح، وكان

الهواء قد أصبح منعشاً ولطيفاً بعد آخر مطرة.

كان ما بعد الظهيرة أنني حضرت في رصيف الميناء. كان الماء ساكناً تماماً، سمعنا ضحكاً وحديثاً قادماً من الجزيرة، حيث كان يشتغل الرجال والفتيات بالسمك. كان عصراً بهيجاً.

نعم، ألم يكن عصراً بهيجاً؟ كانت لدينا سلال من الطعام والنبيذ، وكانت هناك مجموعة من الناس انقسمت على قاربين، نساء شابات يرتدين فساتين زاهية. كنت مسروراً للغاية، وكنت أدندنُ.

بوصولي إلى القارب فكرتُ، من أين جاء كل هؤلاء الشباب.

كانت بنات المزارعين وطبيب المنطقة، عدد من المربيّات، سيدات المقر الكنسي؛ لم أرهن سابقاً، كنّ غريبات بالنسبة لي، ومع ذلك فهنّ موقع ثقة للغاية، كما لو أننا كنا نعرف بعضنا منذ فترة طويلة. ارتكبت بعض الأخطاء، وأصبحت غير متعود على مخالطة الناس، وكنت أقول غالباً للشابات حضرتك(10)؛ لكن لم ينزعج أحد مني. قلت ذات مرة: يا عزيزة، أو، يا عزيزتي؛ لكنهم أعذروني لذلك أيضاً وتظاهروا، كما لو أنني لم أقل ذلك.

ارتدى السيد ماك، كالعادة، صدريته غير المُنشّأة ذات دبوس الالماس. بدا في مزاج رائع ونادى على القارب الثاني:

«انتبهوا لسلال القناني، أيها المجانين! يا دكتور، حضرتك تكفل لي القناني».

«نعم بالتأكيد»، ردّ الطبيب. وبدا هذان النداءان فحسب من قارب إلى قارب في البحيرة احتفاليين ومبهجين لي.

كانت إدفاردا ترتدي فستان اليوم السابق، كما لو أنها لم تكن تملك فستاناً آخر أو أنها لم ترغب أن ترتدي فستاناً آخر. وكان حذاؤها هو نفسه أيضاً. وبدا

لي، أن يديها لم تكونا نظيفتين تماماً؛ لكنها وضعت على رأسها قبعة ذات ريشة. جلبت معها سترتها الملونة لكي تجلس عليها.

بطلب من السيد ماك أطلقت رصاصة واحدة، عندما توجب علينا أن نرسو، ثم طلقتين، وكلاهما من ماسورة بندقيتي، وبعدها تم الصراخ: هوررررررا. تجولنا في الجزيرة، سلم علينا ناس موقع التجفيف، وتحدث السيد ماك مع عماله. عثرنا على طيور الزقزاق وأزهار صفر برية، التي ثبتناها في ثقوب أزرار ستراتنا؛ البعض عثر على أزهار الجريس.

وراحت أعداد من طيور البحر تصيح وتقوقئ في الهواء وعلى الشاطئ.

نصبنا خيمتنا على المرج، حيث انتصبت هناك بعض أشجار بتولا منكمشة ذات لحاء أبيض، كانت السلال مغطاة، وفتح السيد ماك القناني. فساتين لامعة، عيون زرق، رنّة الأقداح، البحر، والأشرعة البيض. غنينا قليلاً.

واحمرّت الخدود.

في ساعة لاحقة كانت أفكاري مليئة بالفرح؛ فحتى الأشياء الصغيرة تؤثر بي؛ خمار يخفق فوق قبعة، شعر يُسدل، عينان تغمضان من الضحك، ولذلك أتأثرُ. يا له من نهار، يا له من نهار!

«لقد سمعتُ، أن لديكم كوخاً صغيراً مضحكاً، يا حضرة الملازم؟».

«نعم، عش. يا إلهي، كم هو مناسب لقلبي! تعالي ذات يوم وزُوريني، يا آنسة؛ فهناك كوخ واحد فحسب على هذا النحو. ووراء الكوخ هناك غابة شاسعة».

جاءت فتاة أخرى وقالت بود:

«لم تكن هنا سابقاً في الشمال؟».

«لا»، أجبتُ. «لكنني أعرف الآن كل شيء، يا سيداتي، خلال الليالي أقف وجها لوجه مع الجبال، الأرض والشمس. وأنا بالمناسبة لا أسعى إلى أن أكون مبالغاً. إن مثل هذا الصيف، الذي لديكن هنا! يبزغ في الليل، عندما يكون الجميع نائمين، وعندما يحل الصباح يكون هناك. نظرت من نافذتي ورأيت هذا بنفسي. لدي نافذتان صغيرتان».

جاءت ثالثة. إنها جذابة بصوتها وبيديها الصغيرتين. كم كنّ جميعهن جذابات!

تقول الثالثة: «هل نتبادل الأزهار؟ هذا يجلب السعادة».

«نعم»، قلتُ ومددت يدي، «لنتبادل الأزهار، وأنا أشكرك على هذا. كم أنت جميلة، تملكين صوتاً ساحراً، لقد سمعته كل الوقت».

لكنها تسحب أزهار الجريس إليها وتقول باختصار ومهارة:

«ماذا جرى لك؟ فلست أنت، الذي كنت أعني».

لم أكن أنا، الذي كانت تقصد! لقد آلمني أنني قد أخطأت، وتمنيت أن أكون في البيت ثانية، بعيداً في كوخي، حيث تتحدث الريح فقط معي. «اعذريني»، قلتُ، «واغفري لي». نظرت الآنسات الأخريات إلى بعضهن وابتعدن لكي لا يهينّني.

في تلك اللحظة جاء أحد يركض باتجاهنا، كلهم رأوها، كانت إدفاردا. لقد جاءت مباشرة باتجاهي، وهي تتحدث قليلاً، رمت بنفسها حول رقبتي، تضغط ذراعيها حول عنقي وتقبّلني أكثر من مرة بفمي. كل مرة تقول شيئاً ما، لكنني لا أسمع ما هو. لم أفهم كل ما قالته، وكان قلبي ساكناً، كان لدي انطباع فحسب عن نظرتها الملتهبة. وعندما تركتني، صعد نهدها الصغير إلى الأعلى والأسفل. وهي لا تزال تقف هناك، بوجهها الأسمر وعنق أسمر، طويلة

ورشيقة، بعينين مهتاجتين وبلا اهتمام تماماً؛ الجميع حدّق فيها. للمرة الثانية أصبحتُ هيماناً بحاجبيها الأسودين اللذين يتقوسان على جبهتها.

لكنك أنت يا إلهي الطيب، هذه الإنسانة قبلتني تحت أنظار الجميع!

«ما هذا أيتها العذراء إدفاردا؟»، سألتها، بينما أسمع دمي يخفق، إنني أسمعه كأنما من أسفل حنجرتي، مما يعيقني من أن أتحدث بوضوح.

«لا شيء»، أجابت. «لقد أردتُ ذلك فحسب. لا يهم». خلعت قلنسوتي، ومسحت شعري بصورة آلية، بينما أنا أقف وأنظر إليها. لا يهم؟ فكرت.

عند ذاك تناهى صوت السيد ماك من الحافة الأخرى للجزيرة، إنه يقول شيئاً ما، الذي لا نستطيع أن نسمعه؛ لكنني أظن بسعادة، أن السيد ماك لم ير شيئاً، ولم يعرف أي شيء. كم كان أمراً جيداً حقاً، أنه كان بالضبط الآن على الجهة الاخرى من الجزيرة! هذا يسهل علي، أن أتقدم إلى التجمع وأقول ضاحكاً، بينما أتظاهر بأنني غير مبالٍ للغاية:

«هل لي أن أعتذر لكم جميعاً عن سلوكي قبل وقت قصير؛ أنا نفسي قانط من ذلك. لقد انتهزت لحظة، عندما أرادت الآنسة إدفاردا تبادل الأزهار معي، لأُسيء إليها. أطلب منها ومنكم العذر. تصور نفسك في مكاني: أنا أعيش وحيداً، ولم أتعود على الاختلاط بالنساء؛ علاوة على ذلك، فقد شربت نبيذاً هذا اليوم، وأنا لست متعوداً عليه أيضاً. تحملوني».

ضحكت وتظاهرت باللامبالاة إزاء كل هذه الترهة لكي أنساها؛ لكن في داخلي كنت جاداً. لم يترك حديثي أيضاً أي تأثير على إدفاردا، وهي لم تسعَ لإخفاء أي شيء، أو تمحي الانطباع عن اندفاعها، بل على العكس، جلست قربي ونظرت إليّ طوال الوقت. تحدثت بين الحين والآخر معي. عندما لعبنا في وقت لاحق لعبة الأرملة، قالت بصوت عالٍ:

«إنه الملازم غلان، الذي أريد. لا أرغب بالجري وراء أحد آخر».

«بحق الشيطان، اسكتي. أيتها الإنسانة!». همست ودققتُ الحقل بقدمي.

طافت على وجهها مفاجأة، فركت أنفها من الألم وابتسمت خجلاً. شعرت بخيبة أمل عميقة، ولم أستطع مقاومة ذلك التعبير المهجور في نظرتها وفي كل شكلها النحيل، سررتُ بها وأخذت يدها الطويلة النحيلة في يدي.

«لاحقاً!»، قلتُ. «لنتوقف الآن. يمكننا أن نلتقي بالتأكيد غداً».

## XI

سمعتُ أثناء الليل إيسوب ينهض من زاويته وبدأ بالهرير، سمعت هذا أثناء النوم؛ لكنني عندما اضطجعت بالتحديد وحلمت حول الصيد، مر هذا الهرير في داخل حلمي، ولم أصبح صاحياً بصورة كاملة بسببه. عندما خرجت من الكوخ في الثانية فجراً، كانت هناك آثار أقدام إنسان على العشب؛ أحد ما كان هناك، ذهب أوّلاً إلى إحدى نوافذي، وبعدها إلى نافذتي الأخرى، ثم اختفت الآثار من جديد على الطريق.

استقبلتني بخدين ملتهبين، وبوجه متوهج تماماً.

«هل انتظرت؟»، قالت. «كنت أخشى، أنك سوف تنتظر».

لم أنتظر، لقد كانت في الطريق قبلي.

«هل نمت جيداً؟»، قلت. لم أكن أعرف تقريباً ماذا أقول.

«كلا، لم أنم، بل كنت يقظة»، أجابت. وقالت، إنها لم تنم في الليل، بل جلست على الكرسي بعينين مغمضتين. كما أنها قد خرجت من البيت في جولة.

«أحد ما قد كان خارج كوخي الليلة». قلتُ. «رأيت أثاراً على العشب في الصباح».

تلوّن وجهها، لم تجب وأخذت يدي. كنت أنظر إليها وأسأل:

«هل كان الشخص أنتِ، ربما؟».

«نعم»، أجابت وضغطت بنفسها نحوي، «لقد كنت أنا. آمل أنني لم أوقظك، لقد مشيت بهدوء للغاية، بقدر ما أستطيع. بلى، لقد كنت أنا. لقد كنت قريبة منك مرة أخرى. أنا سعيدة بك».

## XII

كل يوم، كل يوم كنت ألتقي بها. أعترف بالحقيقة، كنت أريد أن ألتقي بها، وقلبي كان يحلق، نعم، بعيداً. يكون قد مر في هذه السنة عامان على الأمر، والآن أفكّر بهذا عندما أريد فقط، فكل المغامرة ممتعة وتسليني. وما يتعلق بهاتين الريشتين الخضراوين، فسأوضح هذا بعد قليل.

كانت لدينا أماكن عديدة للقاء بها، عند الطاحونة، في الطريق، بل، وحتى في كوخي؛ كانت تأتي أينما أردتُ. نهار سعيد! تهتف هي أوّلاً دائماً، وأنا أجيب: نهار سعيد.

«أنت فرح اليوم، أنت تغني»، تقول، وعيناها تتوهجان.

«نعم، أنا فرح». أجيبُ. «ثمة لطخة على كتفك، إنه غبار، ربما أنه من وحل الطريق؛ أريد أن أقبّل هذا اللطخة، بلى، اسمحي لي أن أقبلها. كل ما يتعلق بك يؤثر برقة فيّ، وأنا مضطرب بسببك. حتى أنني لا أنام».

وكان هذا حقيقة، إنني بقيت في أكثر من ليلة مضطجعاً بلا نوم.

تنزهنا جنبا إلى جنب متبعين الطريق.

«ما هو رأيك، هل أتصرف على نحو ما تحب؟»، تقول. «لعلي أتحدث كثيراً؟ أليس كذلك؟ نعم، لكن عليك أن تقول، ما تفكر به. في بعض الاحيان أفكّر مع نفسي، أن هذا لن يمضي أبداً على خير....»

«ما هذا الذي لن يمضي على خير؟».

«ما يتعلق بنا. إن الأمر لن يمضي على خير. صدقت بهذا أم لا، فأنا أمشي هنا وأرتعش الآن؛ يجمد كل جسدي، بمجرد أنني أقترب منك قليلاً. وهذا من السعادة».

«نعم، وأنا مثلك»، أجبتُ، «ويثلجني أيضاً بمجرد أن أراك. نعم، سيمضي كل شيء بالتأكيد بصورة حسنة. بالمناسبة، هل أطبطب قليلاً على ظهرك كي أدفئك».

هي تسمح لي أن أقوم بهذا مرغمة، أطبطب بقوة أشد قليلاً، للمزحة فحسب، أضحك وأسأل، فيما أن هذا يساعد.

«أوه، لا، لا تكن ماهراً للغاية كي تضربني أكثر على الظهر»، قالت.

يا لتلك الكلمات القليلة! لقد بدت عاجزة بالنسبة لي، إنها قالت: لا تكن ماهراً للغاية.

تابعنا المشي على الطريق. هل هي مستاءة مني بسبب مزحتي؟ سألت نفسي، وفكرت: لنرَ. وقلت:

«سوف أتذكّر شيئاً. ذات مرة في رحلة زورق، كانت هناك سيدة شابة نزعت وشاحها الحريري الأبيض عن عنقها وربطته حول عنقي. في المساء قلت للسيدة: سأعيد لك وشاحك يوم غد، سأطلب غسله. لا، ردت، أعده الآن لي،

أريد أن احافظ عليه كما هو، كما استخدمته أنت تماماً. وحصلت على وشاحها. بعد ثلاث سنوات التقيت بالسيدة الشابة ثانية. الوشاح؟ قلت. لقد جلبت الوشاح. كان لا يزال موضوعاً في أوراقه غير مغسول تماماً، لقد رأيته بنفسي».

ألقت إدفاردا نظرة جانبية عليّ.

«حسناً، كيف سارت الأمور؟».

«لا، لم يعد هناك شيء»، قلت. «لكنني أعتقد، أنها سمة جميلة».

صمت.

«أين هذه السيدة الآن؟».

«في الخارج»(11).

لم نتحدث حول ذلك أكثر.

لكن عندما توجب عليها الذهاب إلى البيت، قالت:

«ليلة سعيدة. لا تفكر بتلك السيدة أكثر، أليس كذلك؟ لا أفكّر بأحد آخر سواك».

صدّقت بها، رأيت، أنها عنت، ما قالته، وكان ذلك دائماً كافياً لي، لمجرد أنها فكرت بي. مشيت وراءها.

«شكراً، إدفاردا». قلتُ. بعد ذلك أضفت لها من كل قلبي: «أنت جيدة بالنسبة لي، غير أنني ممتن أنك تريدينني، وسيجازيك الله على هذا. أنا لست رائعاً مثل كثيرين يمكن أن تحصلي عليهم؛ لكنني لك تماماً، بقوة لك، بروحي الخالدة. بماذا تفكرين؟ لقد اغرورقت عيناك بالدموع».

«لا شيء»، أجابت.

«بدا الأمر غريباً للغاية، أن الله سيجازيني على هذا. قلت شيئا كهذا، كـ... أنا أحبك كثيراً إذن!».

فجأة قفزت في منتصف الطريق وطوقت عنقي وقبلتني بشراهة.

عندما غادرت، انعطفتُ ودخلتُ في الغابة لكي أخفي نفسي وأكون وحيداً مع فرحتي. وهرعت منفعلاً عائداً إلى الطريق ثانية ونظرت، فيما إن أحدٌ قد لاحظ، أنني دخلت الغابة. لكنني لم أرَ أحداً.

## XIII

ليالي صيف ومياه هادئة وصمت الغابة اللانهائي. لا صياح، ولا خطى أقدام من الطرق، كان قلبي مليئاً، كأنما من نبيذ قاتم. العث والفراشات الليلية تطير بلا صوت إلى الداخل من خلال نافذتي، يجذبها جلد الوجار ورائحة طائري المقلي. تصطدم بالسقف بصوت مكتوم، وتحوم حول أذني، ثم تضل طريقها ببرود خلالي، وتحط على جعبة بارودتي البيضاء المعلقة على الحائط. أراقبها، تستقر مرتعشة وتنظر إليّ. إنها فراشات القز، وعمديات الأجنحة والعث. وأرى، أن بعضها تشبه نوعاً من أزهار بنفسج طائرة.

أخطو خارج الكوخ وأصغي. لا شيء، لا ضوضاء، كل شيء يرقد. الهواء مضاء بحشرات طائرة، بعدد لا يحصى من الأجنحة الحائمة. عند حافة الغابة يوجد نبات السرخس وقلنسوة الكاهن(12)؛ كتلة التوت تزهر، وأنا أحب أزهارها الصغيرة. شكراً، يا إلهي، لكل زهرة برية، كنت قد رأيتها؛ لقد كانت مثل ورود صغيرة في دربي، وأنا أبكي من حبي لها. في مكان أو آخر قربي هناك قرنفلات برية، لا أراها، لكنني أشعر بعبق رائحتها.

لكن الآن في ساعات الليل تتفتح فجأة أزهار بيض كبيرة في الغابة، تشرئب كؤوسها، وتتنفس. وتنزل حشرات مظلمة على أوراقها، وتجعل كل النبات يرتعش. تنتقل من زهرة إلى أخرى. إنها ثملة، إنها أزهار ثملة، وأنا أرى، كيف تثمل.

خطى أقدام خفيفة، وأنفاس إنسان، وتحية مساء سعيد.

أجيب وأرمي نفسي في الشارع وأطوق الركبتين وهذا الفستان البسيط.

«مساء الخير يا إدفاردا!»، أقول مرة أخرى، مرهقاً من السعادة.

«كم أنت فرح بي!»، هَمسَت.

«كم أنا ممتن!»، أجبتُ. «أنتِ لي وقلبي هادئ طوال اليوم في داخلي ويفكر بك. أنت أجمل فتاة على هذه الأرض، وقد قبلتك. غالباً ما أشعر بالبهجة بمجرد أن أتذكّر أنني قبلتك».

«لماذا أصبحت مولعاً بي في هذا المساء فحسب؟»، تسأل.

وقد صرت كذلك لأسباب عديدة، كان عليّ أن أفكّر بها فحسب، لكي أصير هذا. تلك النظرة تحت الحواجب المنحنية في أعلى الجبهة، وهذه البشرة الداكنة الجميلة.

«ألا ينبغي أن أكون مغرماً بك!»، أقول. «أمشي وأشكر كل شجرة لأنك بخير وعافية كاملة. ذات مرة، وفي حفلة راقصة كانت هناك سيدة شابة، التي جلست والرقص يتواصل رقصة بعد رقصة، والجميع تركها جالسة. لم أكن اعرفها، لكن وجهها ترك انطباعاً عليّ، فانحنيت لها. والآن؟ لا، هزت رأسها. الآنسة لا ترقص؟ قلت. هل يمكنكَ أن تفهمَ هذا، أجابت، أبي كان جميلاً للغاية، وأمي كانت كاملة الجمال، وأبي هيمن على أمي باندفاع. لكنني أصبحت عرجاء».

حدقت إدفاردا بي.

«لنجلس»، قالت.

فنجلس بين نبات الخلنج.(13)

«هل تعرف، ماذا قالت صديقتي عنك؟»، بدأت، «لديك نظرة حيوانية، قالت، وعندما تنظر إليها، تجعلها مجنونة. كما لو أنك تلمسها. قالت».

رفرت فرحةٌ وأنا أسمع هذا، ليس من أجلي ولكن من أجل إدفاردا، وفكرت؛ يوجد شخص واحد فقط يعجبني، ماذا يقول هذا الشخص عن نظرتي؟ فسألت:

«أيّة صديقة كانت؟».

«لن أخبرك حول هذا»، أجابت. «لكن كانت واحدة من اللواتي كانت معنا في مكان التجفيف».

«نعم نعم»، قلت.

وتحدثنا عن أمور أخرى.

قالت: «سيتوجه والدي في أحد الأيّام القادمة إلى روسيا، وأريد أن أقيم احتفالاً. هل كنت في جزر كورهلم؟ سنأخذ نبيذاً في سلتين، ستأتي السيدات من بيت القس ثانية معنا، وقد أعطاني أبي مسبقا النبيذ. فعليك أن لا ترى صديقتي ثانية، أليس كذلك؟ فعليك أن لا تنظر إلى صديقتي مرة أخرى، لا، أليس كذلك؟ وإلا فلن أطلب منها أن تكون معنا».

وبدون أن أقول أكثر ألقت نفسها حول رقبتي بعنف ونظرت إلي، حدقت في وجهي، بينما هي تلهث بصوت مسموع. وكانت نظرتها قاتمة تماماً.

نهضت بصورة مباغتة واكتفيت بالقول في حيرة من أمري:

«هكذا إذن، هل سيذهب أبوك إلى روسيا؟».

«لماذا نهضت بهذه السرعة؟»، سألت.

«لأن الوقت متأخر جداً، يا إدفاردا»، قلت. «الآن تغلق الأزهار البيض على نفسها ثانية، وتشرق الشمس، ويحل النهار».

تابعتها عبر الغابة وبقيت واقفاً لفترة طويلة أنظر اليها، قدر ما أستطيع؛ وعلى مبعدة مسافة بعيدة هناك استدارت وصاحت بصوت خافت ليلة سعيدة. ثم توارت عن الانظار. بنفس الوقت انفتح باب الحداد، وخرج رجل يرتدي صدرية قميص بيضاء، ونظر حوله، ووضع قبعته على جبهته وشق طريقه إلى سيريلوند.

لا يزال بإمكاني سماع صوت إدفاردا، ليلة سعيدة، في أذني.

## XIV

الفرحة تسكر. أطلق النار من بندقيتي، فيرد صدى لا ينسى من جبل إلى جبل، يحوم على البحر ويرّن في أذن قائد الدفة الغافي. ما الذي يجب أن أفرح به؟ فكرة عندي، ذكرى، صدى في الغابة، إنسان. أنا أفكّر بها، أغلق عيني وأقف هادئاً في الطريق وأفكّر فيها، وأعد الدقائق.

أنا الآن عطشان، وأشرب من الجدول؛ وأعدّ الآن مئة خطوة إلى الأمام ومئة خطوة إلى الوراء؛ وأحسب، أن الوقت أصبح متأخراً الآن.

هل هناك عائق ما؟ شهر مرّ، والشهر ليس بوقت طويل؛ لم يكن هناك أي عائق! والله يعلم، أن هذا الشهر كان قصيراً. لكن الليالي غالباً ما تكون

طويلة، فأغمس قبعتي في الجدول ثم أتركها لتجف ثانية، لتمرير الوقت فحسب، بينما أنتظر.

حسبت وقتي بالليالي، في بعض الأحيان تكون هناك ليلة لا تأتي فيها إدفاردا، ومرة تخلفت لليلتين. في ليلتين. لم يكن هناك أي عائق، لكنني شعرت حينها، ربما أن سعادتي وصلت ذروتها.

ألم تبلغ ذلك؟

«اسمعي، يا إدفاردا، كم هو مقلق هذه الليلة في الغابة؟ إنها تخشخش باستمرار في الأجمات، والأوراق الكبيرة ترتعش. لعل هناك شيئاً ما، أريد أن أقول. أسمع طيراً مغنياً في أعلى التل، إنه مجرد طائر صغير؛ لكنه مكث في نفس المكان ليلتين ويغني. هل تسمعين صوتاً رتيباً، رتيباً؟»

«نعم، أسمعه. لماذا تسألني عنه؟».

«من أجل لا شيء. إنها جلست هنا لليلتين. أردت فقط أن أقول هذا.... شكراً، شكراً لحضوركِ هذا المساء، يا حبيبتي! جلست هنا وأتوقع مجيئك هذه الليلة أو مساء الغد، ويسعدني قدومك».

«وأنا انتظرت أيضاً. أفكّر بك، لقد جمعت وأخفيت شظايا الكأس، الذي أطحت به ذات مرة؛ هل تتذكر هذا؟ هذه الليلة سافر أبي، وكنت اعتذرت من القدوم، كان لدي الكثير لأحزمه وأن أذكره به. كنت أعرف، أنك مررت هنا وانتظرت في الغابة، بينما كنت أبكي وأحزم الحقائب».

ولكن مرت ليلتان، فكرت، ماذا فعلت في الليلة الاولى؟ ولماذا ليس هناك الكثير من الفرح في عينيها الآن، كما في السابق؟

مرت ساعة. أخلد الطائر في أعلى الرابية إلى الصمت، واستلقت الغابة ميتة. لا، لا لا لم يكن هناك أي عائق، كل شيء كان كما في السابق، لقد صافحتني

محيّية ليلة سعيدة ونظرت إليّ بحب.

«غداً؟ لا، ليس غداً»، أجابت.

لم أسألها عن السبب.

«غداً سنقيم احتفالنا»، قالت ضاحكة.

«أريد فحسب أن أفاجئك، لكنك بديت بشكل تعيس للغاية، بحيث توجب عليّ أن أقول إليك ذلك فوراً. كنت سأرسل لك دعوة مكتوبة».

وقد تخفف عن قلبي بشكل لا يمكن وصفه.

ثم غادرت، بإيماءة للوداع.

«لا يزال أمر آخر»، قلت، وأنا واقف حيث كنت. «كم من الوقت منذ أن قمت بجمع أجزاء هذا الكأس وأخفيتها؟».

«منذ متى؟».

«نعم، يمكن أن يكون منذ أسبوع، منذ أسبوعين؟».

«حسناً، ربما منذ أسبوعين. لكن لماذا تسأل عن هذا؟ لا، سأقول لك الحقيقة، لقد فعلت هذا أمس».

إنها قامت به أمس، إنها لم تكن تفكر بي أبعد من أمس!

والآن، كل شيء كان على ما يرام.

## XV

كان القاربان جاهزين في الماء، وصعدنا على متنيهما. غنينا وتحدثنا. كانت جزر كورهلم تقع خارج الجزر. استغرق الأمر بعض الوقت للتجذيف إلى هناك، وأثناء ذلك تجاذبنا الكلام مع بعضنا من القاربين. كان الطبيب يرتدي لباساً فاتح اللون، كما النساء؛ لم أره أبداً بمثل ما هو عليه من الارتياح مع من يتحدث، لم يعد المستمع الهادئ. كان لدي انطباع، أنه شرب قليلاً، وكان فرحاً. عندما وصلنا إلى اليابسة، استأثر بانتباه المجموعة للحظة ورحب بنا. فكرت: انظر، لقد اختارته إدفاردا ليقوم بدور المضيف.

رفّه نفسه مع السيدات بأقصى درجة من المودة. وكان تجاه إدفاردا مهذباً ولطيفاً، وغالبا ما يكون أبوياً ومتحذلقاً، كما في العديد من المرات السابقة. كانت تتحدث عن زمن، وقالت مرة: «لقد ولدت في عام 38»، فسألها: «أفترض انك تقصدين، في ألف وثمانمائة وثمانية وثلاثين، أليس كذلك؟».

عندما أقول شيئاً فإنها تصغي بأدب وانتباه إلى ذلك ولا تتجاهلني.

تقدمت شابة يافعة مني وسلمت عليّ. لم أتعرف عليها ثانية، ولم أستطع أن أتذكّرها، وقلت بعض الكلمات المباغتة، التي ضحكت عليها. كانت إحدى بنات الكاهن القيّم(14)، ودعوتها إلى كوخي. وتحدثنا معاً لفترة من الوقت.

مرّت ساعة أو ساعتان. شعرت بالملل، فكنت أشرب من النبيذ، كلما تمّ صبه لي، وأختلط مع الآخرين، وأمر على الجميع. ومن جديد ارتكبت بعض الأخطاء، أحسست أنني أقف على أرض غير أكيدة ولا أعرف في الوقت الحالي، كيف أرد على اللطف، ويحدث أن أتحدث بدون ترابط أو حتى أن أغدو صامتاً، وهذا ما يجعلني أشعر بالحرج. هناك عند الصخرة الكبيرة، التي نستخدمها كطاولة، يجلس الطبيب ويومئ بيديه.

الروح! (15) ماذا تعني الروح؟ قال. اتهمته ابنة العميد بأن يكون مفكراً متحرراً؛ حسناً، ألا ينبغي للإنسان أن يفكر بحرية؟ يتصور الإنسان أن الجحيم

كمنزل في أعماق الأرض والشيطان كمدير مكتب، ــ كلا، بل كان هو صاحب الجلالة. أراد أن يتحدث عن مصلى في كنيسة (16): تمثال للمسيح، بعض اليهود واليهوديات، والماء المتحول إلى خمر؛ حسناً! لكن المسيح كانت تحيط برأسه هالة. فما هي الهالة؟ طوق أصفر يقف على ثلاث شعرات.

شبكت اثنتان من السيدات أيديهما برعب. لكن الطبيب أنقذ نفسه وقال مازحاً:

«يبدو ذلك مرعباً، أليس صحيحاً؟، أعترف بهذا. لكن عندما يكرر المرء هذا ويكرر هذا سبع مرات أو ثماني مرات لنفسه ويفكر قليلاً به، فإن هذا يبدو بالفعل أفضل..... هل لي شرف أن أشرب مع السيدات!».

جثى على العشب أمام السيدتين ولم يرفع قبعته ووضعها أمامه، بل رفعها باليد اليسرى إلى الأعلى وأفرغ الكأس بحنجرة محنية إلى الخلف.

انبهرت شخصياً بثقته الكبيرة ورغبت أن أشرب معه، إذا لم يكن هو قد أفرغ كأسه بالفعل.

تابعته إدفاردا بعينيها. وقفت بقربها وقلت:

«هل سنلعب لعبة الأرملة هذا اليوم؟».

أجفلت قليلاً ونهضت.

«تذكر أننا لا نقول حضرتك لبعضنا الآن»، همست.

لكنني لم أقل حضرتك.(17) وابتعدت مرة أخرى.

مرت ساعة أخرى. وصار النهار طويلاً، كنت أريد منذ وقت طويل أن أجدّف إلى البيت لو كنت أملك قارباً ثالثاً؛ فإيسوب يمكث مربوطاً في البيت، ربما

فكر بي. وكان لإدفاردا أفكارها البعيدة بالتأكيد عني، كانت تتحدث عن سعادة الحصول على السفر بعيداً، إلى أماكن أخرى، أصبح خداها متوردين حول هذا الأمر، وعلاوة على ذلك كانت تتحدث بشكل خاطئ.

«لا أحد سيكون أكثر سعادة مني في هذا اليوم....».

«أكثر سعادة»، قال الطبيب.

«ماذا؟»، تسألُ.

«أكثر سعادة».

«لم أفهم».

«أنت قلت أكثر سعادة، وليس شيئاً آخر».

«هل فعلتُ ذلك؟ المعذرة. لا أحد سيكون أكثر سعادة مني، ذلك اليوم، الذي أقف فيه على ظهر السفينة. أحياناً أتوق إلى أماكن، التي لا أعرف حتى نفسي شيئاً عنها».

كانت تتوق إلى الرحيل. ولم تتذكرني. وقفت هناك ونظرت بوجهها، بأنها قد نسيتني. حسناً، ليس هناك أي شيء يقال حول ذلك، لكنني وقفت ورأيت بنفسي هذا على وجهها. ومرت الدقائق بحزنٍ بصورة بطيئة. سألت كثيرين، فيما إذا كان علينا أن نجدف عائدين إلى البيت، فالوقت متأخر، قلت. وإيسوب مربوط في الكوخ. لكن لا أحد يريد الذهاب إلى البيت.

ذهبت لمرة ثالثة إلى بنت الكاهن، وفكرت: إنها هي التي تحدثت عن نظرتي الحيوانية. شربنا معا؛ كانت لها عينان مرتعشتان، ولا تهدآن أبداً، وكانت تنظر إليّ باستمرار.

«أخبريني»، قلت. «هل تعتقدين، يا آنسة، أن البشر في هذه المناطق تشبه نفس هذا الصيف القصير؟ إنهم عابرون وجذابون مثله؟».

تحدثتُ عالياً، بصوت عال جداً، وقد فعلت ذلك بقصد. استمريتُ بالحديث عالياً وطلبت من الآنسة مرة أخرى أن تزورني وترى كوخي. «سيباركك الله على هذا». قلت وأنا في ضيقي، وفكرت مع نفسي مسبقاً، أن بوسعي أن أعثر على شيء أهديه إليها، إذا أرادت المجيء؛ فانا لم أملك شيئاً آخر سوى جعبة البارود، خطر على بالي.

ووعدتني الآنسة أن تأتي.

جلست إدفاردا مشيحة بوجهها عني، وتركتني أتحدث كما أشتهي. كانت تصغي، لما كان يقال، وتتدخل في وقت أو آخر بكلمة. أما الطبيب فراح يقرأ مستقبل الشابات على أيديهن وأطلق العنان للسانه؛ وهو نفسه كان ذا يدين صغيرتين ناعمتين وخاتم في إحدى الأصابع. شعرت بأنني إضافي فجلست متنحياً مع نفسي على صخرة. وبدأ الوقت يطول بعد العصر. هنا أجلس وحيداً تماماً على صخرة، قلت لنفسي، الإنسان الوحيد الذي بوسعه أن يخرجني من هنا، هو أن يتركني جالساً. وهو أمر، بالمناسبة، لا يهمني أيضاً.

غلب عليّ إحساس كبير بالوحدة. تناهت الحادثة إلى مسامعي، وسمعت، إدفاردا تضحك. ومع هذه الضحكة نهضت دفعة واحدة وذهبت إلى المجموعة. جرى هياجي معي.

«لحظة واحدة فحسب،»، قلت. «خطر على بالي، بينما كنت أجلس هناك مبتعداً، أنه يمكنهم رؤية كتاب حشراتي». وقدمت كتاب حشراتي. «آسف، إنني لم أتذكّره سابقاً. ألا تتفضلوا للاطلاع عليه، ستمنحونني سعادة، يمكنكم رؤيته بالكامل، هناك حشرات حُمر وصُفر». كنت أمسك طاقيتي بيدي، بينما

كنت أتكلم. ولاحظت بنفسي، أنني نزعت طاقيتي، وأنه كان خطأ، لهذا وضعتها حالاً على رأسي ثانية.

سادت لحظة صمت عميق، ولم يأخذ أحد الكتاب. في النهاية مد الطبيب يده للكتاب وقال بأدب:

«نعم، شكراً، دعنا نرى هذه الأدوات، لقد كان دائماً لغزاً بالنسبة لي، كيف يجمع المرء الحشرات معاً».

«أعملها بنفسي»، قلت بكامل الامتنان له. وشرعت على الفور لأوضح، كيف عملتها. كان الأمر بسيطاً للغاية، لقد اشتريت الريش وخيط الصيد؛ لم يكن العمل جيداً بالتأكيد، لكنها كانت للاستعمال الشخصي فقط. وكانت هناك حشرات جاهزة للحصول عليها، وكانت جميلة جداً.

ألقت إدفاردا لمحة لا أبالية عليّ وعلى الكتاب وواصلت الحديث مع صديقاتها.

«وهذه أيضاً عدّة»، قال الطبيب. «انظروا ما أجمل الريشات».

رفعت إدفاردا نظرها.

«الخضراء جميلة»، قالت؛ «اسمح لي أن أراها، يا دكتور».

«احتفظي بها»، هتفت. «نعم، افعلي هذا، أنا أرجوك حول هذا اليوم. إنهما ريشتا طير خضراوان. افعلي معروفاً نحوي، إنها ذكرى.

نظرت إليهما وقالت:

«إنهما خضراوان وذهبيتان، طالما يمسكهما المرء في الشمس. نعم، شكراً، ما دمت تريد أن تعطيني إياهما، إذن».

«نعم، أريد أن أعطيك إياهما ». قلت.

تناولَت الريشتين.

بعد فترة قصيرة أعاد الطبيب الكتاب، وقال شكراً. نهض وسأل، فيما إذا علينا الشروع قريباً التفكيرَ في العودة إلى البيت.

قلت: «نعم، بالله عليك. عندي كلب موجود هناك في البيت؛ لاحظ، أن لدي الآن كلب، إنه صديقي، إنه مستلقٍ ويفكر بي، وعندما أصل، يقف على قائمتيه في النافذة ويحييني. كان اليوم جميلاً جداً، وهو على وشك الزوال، دعونا نجذف نحو البيت. أنا أشكركم جميعاً».

انتظرت على الشاطئ لكي أرى، أي قارب اختارت إدفاردا، وقررت أن أذهب على ظهر القارب الثاني. على غرة نادتني. نظرت إليها بدهشة، كان وجهها مشرقاً. حينذاك جاءت إلي، مدت يدها نحوي وقالت برقة:

«شكراً على الريشتين... اسمع، هل سنكون في نفس القارب؟».

«إذا أردتِ هذا»، أجبتُ.

جلسنا في القارب، واتخذَت مقعدها بجواري، ولامست ركبتها. نظرت إليها، ونظرت لحظة إليّ. ولدت لدي إحساساً طيباً من خلال لمسها لإحدى ركبتي، ورحت أشعر بأنني كوفئت على هذا اليوم القاسي وأن أعيد كسب سعادتي، عندما هي غيرت فجأة الموقف، وأدارت ظهرها لي وشرعت الحديث مع الطبيب، الذي جلس عند الدفة. وخلال ربع ساعة لم أكن موجوداً بالنسبة إليها. حينها قمت بشيء، الذي أندم عليه ولم أنسه حتى الآن. سقطت فردة حذاء من قدمها، فتلقفته وطوحت به باتجاه الماء إلى حد بعيد، ابتهاجاً بأنها كانت قربي، أو الحاجة لإثبات نفسي، وأذكرها بأنني موجود ــ لا أعرف. كل شيء مضى بسرعة، ولم أفكّر، حصلت فحسب على هذه الفكرة. أطلقت النساء صرخة. وأنا نفسي أصبت بالشلل، على ما فعلته؛ لكن ما الفائدة؟ ما حدث حدث. وهرع الطبيب لمساعدتي، فصرخ: «جدّف بعيداً!»، وتوجه نحو

فردة الحذاء؛ في اللحظة التالية استطاع قائد الدفة من الإمساك بها، تماماً في اللحظة التي بدأت تغطس تحت سطح الماء؛ الرجل أصبح مبللاً حتى أعلى ذراعه. عندها تعالى تهليلٌ بأصوات متعددة من كلا القاربين، لأنّه تم إنقاذ فردة الحذاء.

كنت خجلاً بعمق، وشعرت أن وجهي بدّل لونه وانكمش، بينما كنت أجفف فردة الحذاء بمنديلي. استقبلت إدفاردا هذا بصمت. بعد لحظات فقط قالت:

«لم أر أبداً شيئاً مماثلاً».

«لا، أليس كذلك؟»، قلت أنا أيضاً. ابتسمت وتصلبتُ، وتظاهرت كما لو أنني قمت بعملي لسبب أو لآخر، كما لو كان هناك شيء مريب فيه. لكن ماذا كان مثيراً للشك فيه؟ نظر الطبيب لأول مرة نظرة احتقار.

مرّ وقت قصير، انساب القاربان نحو البيت، اختفى الخلاف بين المجموعة، غنينا، واقتربنا من رصيف الميناء. قالت إدفاردا:

«اسمعوا، إننا لم نشرب كل النبيذ، وبقي هناك نبيذ كثير. نعمل حفلة أخرى، حفلة جديدة فيما بعد، علينا أن نرقص، نقيم حفلة راقصة في صالوننا الكبير».

عندما وصلنا إلى اليابسة، قدمت اعتذاراً إلى إدفاردا.

«كم أشتاق العودة إلى كوخي»، قلت.

«كان هذا اليوم يوماً مؤلماً».

«هل كان يوماً مؤلماً بالنسبة لك، أيها الملازم؟».

«أعني»، قلت وانحنيت، «أعني، لقد جعلت الأمر غير مريح لنفسي أو للآخرين على السواء. أنني ألقيت حذاءك في الماء».

«نعم، كانت نزوة غريبة».

«اغفري لي!»، قلت.

# XVI

ماذا يمكن أن يكون أسوأ؟ لقد قررت أن أحافظ على هدوئي، في كل ما يمكن أن يحصل، والله يشهد عليّ. هل كنت أنا، الذي أقحمت نفسي عليها في البدء؟ لا، لا، أبداً؛ كنت أقف في أحد الأيّام بطريقها فحسب، عندما مرت. أي صيف كان هنا أيها الشمال! لقد كفّت الخنفساء الكبيرة مسبقاً عن الطيران، وصار الناس أكثر وأكثر غير مفهومين لي، على الرغم من أن الشمس أضاءتهم ليل نهار. عن ماذا بحثت عيونهم الزرق، وبماذا فكروا خلف جباههم الفريدة؟ على أية حال لم يكونوا كلهم ذوي أهمية بالنسبة لي. أخذت شباك الصيد وصدت السمك على مدى يومين، في أربعة ايام؛ لكن في الليالي كنت أستلقي بعينين مفتوحتين في الكوخ.

لم أركِ منذ أربعة أيام، يا إدفاردا؟

«أربعة أيام، هذا صحيح. اسمع، كنت مشغولة. تعال وانظر».

ادخلتني إلى الغرفة الكبيرة. كانت هناك الطاولات التي تم إخراجها، وتم ترتيب الكراسي على امتداد الجدران، لقد تم تغيير كل شيء؛ الثريا، والمدفأة، وكانت الجدران مزينة بروعة بأعشاب واقمشة سود من المخزن. بينما انتصب البيانو في الزاوية.

تلك كانت استعداداتها إلى «حفلة الرقص».

«كيف ترى هذا؟»، سألت.

«رائع»، أجبتُ.

خرجنا من الصالة.

قلتُ: «لكن اسمعي الآن، يا إدفاردا، هل نسيتني تماماً؟».

«لا أفهمك»، أجابت مستغربة. «ألم تر كل هذا، الذي فعلته؟ هل كان بوسعي أن آتي إليك؟».

«كلا»، قلتُ أيضاً، «وعليه ربما لم يكن بوسعك أن تأتي إليّ». كنت في حالة أرق وإنهاك، وأصبح كلامي بدون معنى وغير منضبط، وقد كنت تعيساً كل اليوم. «كلا، لم تتمكن من المجيء إليّ، إذن. وهذا ما أردت قوله: وبكلمة حصل تغيير، شيء قد شق طريقه. نعم. لكنني لا أستطيع أن أقرأ على وجهك، ما هو». «كم جبهتك فريدة، يا إدفاردا! إنني أراها الآن ».

«لكنني لم أنسكَ!»، هتفت خجلة، وبدفعة واحدة غرست ذراعها تحت ذراعي. «لا لا، ربما أنت لم تنسِني أيضاً. لكنني لا أعرف ما أقول. واحد من اثنين».

«غداً ستستلمين دعوة. سيتوجب عليك أن ترقص معي. كم سنرقص!».

«هل تودين مرافقتي بعضاً من الطريق؟»، سألتُ.

«الآن؟ لا، لا أستطيع»، أجابت. «بعد قليل سيأتي الطبيب، سيساعدني في بعض الأمور، فلا يزال هناك القليل مما ينبغي عمله. إذن، أنت ترى، أن حال الصالة جيد على هذا النحو؟ لكن ألا تعتقد...».

تقف مركبة في الخارج.

«هل سيأتي الطبيب راكباً هذا اليوم؟»، أسال.

«نعم، لقد أرسلتُ إليه حصاناً، كنت أريد...».

«نعم، مراعاة لقدمه المريضة. لا، اسمح لي أن اغادر.. نهارك سعيد، نهارك سعيد، دكتور. يسعدني أن أراك ثانية. حيوياً ومعافى دائماً؟ معذرة، إنني أذهب».

خارج السلم استدرت مرة أخرى، وقفت إدفاردا عند النافذة وهي تلاحقني بنظرها، أزاحت بكلتا يديها الستائر جانباً لكي ترى، وكانت تعابير وجهها مغرقة بالتفكير. تجتاحني بهجة مضحكة، أبتعد بسرعة عن البيت، بخطى خفيفة ونظرة قاتمة، والبندقية كانت خفيفة كعصا في يدي. إذا توجب علي أن أحصل عليها، فعلي أن أكون إنساناً صالحاً، فكرت. وصلت الغابة وواصلت التفكير: إذا توجب علي الحصول عليها، فينبغي أن اخدمها دون كلل من أي شخص آخر، وإذا أثبتت أنها غير جديرة بي، وإذا وجدت أنها تطلب المستحيل مني، فإنني سأفعل كل شيء، ما بوسعي فعله، نعم، أكثر مما أستطيع، وأبتهج أنها كانت لي...توقفت، وجثوت على ركبتي ولعقت من التواضع والأمل بعض الأعشاب على حافة الطريق، ومن ثم نهضت ثانية.

شعرت في النهاية بالثقة تقريباً. كان سلوكها المتقلب في الفترة الاخيرة إذن مجرد أسلوبها؛ وقفت ولاحقتني بنظراتها، عندما ذهبت، وقفت عند النافذة وتابعتني بعينيها حتى اختفيت، فما الذي تستطيع عمله أكثر؟ بهجتي أربكتني تماماً، كنت جائعاً، لكنني لم أعد أشعر به.

ركض إيسوب إلى الامام، وبعدها بلحظة بدأ ينبح. تطلعت إليه، كانت امرأة على رأسها منديل أبيض تقف قرب زاوية الكوخ؛ كانت إيفا، ابنة الحداد.

«مرحبا، إيفا»، هتفت.

وقفت عند الصخرة الرمادية العالية، وقد أحمر وجهها بصورة كاملة، وكانت تمص إحدى أصابعها.

«أهذه أنت، يا إيفا؟ ما بالك؟»، سألت.

«لقد عضني إيسوب»، أجابت وأغمضت عينيها.

نظرت إلى إصبعها. كانت قد عضت إصبعها بنفسها. فكرة خطرت في رأسي، فأسأل: «هل وقفت هنا وانتظرت طويلاً؟».

«لا، ليس طويلاً»، أجابت.

وبدون أن يقول أحد منا المزيد، أخذتها من يدها وقدتها إلى الكوخ.

## XVII

كالمعتاد، جئت من صيد السمك وحضرت «الحفلة» مع البندقية والسائل. وقد ارتديت فحسب أفضل سترة جلدية عندي. كان الوقت متأخراً، عندما وصلت إلى سيريلوند، سمعت أن هناك رقص في الصالة، وبعد ذلك بقليل صرخ شخص: هنا الصياد، الملازم! طوقني بعض الشبان وأرادوا أن يروا صيدي، وقد صدت بعض طيور البحر وصدت بعض أسماك المورة. رحبت إدفاردا مبتسمة بيّ، وكانت قد رقصت، إذ كانت محمرّة الوجه.

«في البدء ارقص معي!»، قالت.

ورقصنا. ولم يحدث أي حادث. أصبت بالدوار، لكنني لم أسقط. أحدثت جزمتي الكبيرة بعض الضوضاء، وقد سمعت هذه الضوضاء بنفسي، وقررت أن لا أرقص أكثر، كما أنني تركت خدوشاً في الأرضية المطلية. كم كنت سعيداً أنني لم أسبب حادثة أكبر!.

كان مستخدما السيد ماك حاضرين ورقصا بدقة وجدية، وشارك الطبيب بشغف في رقصات الدور. بالإضافة إلى هؤلاء السادة، كان هنالك أربعة شباب يافعين، أبناء وجهاء الكنيسة الرئيسية، كاهن وطبيب المنطقة. وجاء

هناك أيضاً تاجر جوال غريب، وكان متميزاً بصوته الجميل وسار بإيقاع مع الموسيقى. وبين الحين والآخر قام باستبدال السيدات على البيانو.

لم أعد أتذكّر كيف مرت الساعات الاولى، لكنني أتذكّر كل شيء من الجزء الأخير من الليل. كانت الشمس تسطع حمراء طيلة الوقت من خلال النوافذ، بينما نامت طيور البحر. حصلنا على النبيذ والكيك، تحدثنا بصوت عالٍ وغنينا. ضحكُ إدفاردا صدح حيوياً وفرحاً عبر الصالة. لكن لماذا لم أتلقَّ أكثر أية كلمة منها؟ اقتربت من مكانها وأردت أن أقول لها مجاملة قدر إمكاني؛ كانت ترتدي فستاناً أسود، ربما كان فستان تعميدها، وقد أصبح قصيراً للغاية بالنسبة لها، لكنه كان مناسباً لها، عندما كانت ترقص، وأردت أن أقول لها هذا.

«كم هذا الفستان الأسود.....»، بدأت.

لكنها نهضت من مكانها، طوقت خصر إحدى صديقاتها وغادرت معها. تكرر هذا الأمر مرات. حسناً، فكرتُ، ما الذي يمكن فعله حيال هذا؟ لكن لماذا تقف عندئذ وتحدق بي حزينة من النوافذ، عندما أتركها؟ إنها حرّة!

دعتني سيدة إلى الرقص، وكانت إدفاردا تجلس بالقرب، فأجبت بصوت عالٍ:

«لا، سأذهب حالاً».

ألقت إدفاردا نظرة متسائلة عليّ وقالت:

«تذهب؟ آه، لا، لن تذهب».

اندهشت وشعرت بأنني غرزت أسناني في شفاهي. ونهضت.

«هذا، الذي قلته، يبدو لي ذا أهمية، يا آنسة إدفاردا»، قلت بسوداوية وقطعت بعض الخطوات نحو الباب.

قطع الطبيب الطريق علي، وجاءت إدفاردا بنفسها مسرعة.

وقالت بحرارة: «لا تفهمني خطأ، كان قصدي أن اقول، آمل أن تكون الأخير الذي سيغادر، بل آخر من يذهب. إضافة إلى هذا فان الساعة الواحدة فقط... إسمع»، أضافت بعينين متألقتين، «أنت أعطيتَ قائد الدفة قطعة نقدية من فئة خمسة تاليرات(18)، لأنّه أنقذ حذائي من الغرق. وكان ثمناً باهضاً للغاية». وضحكت بحرارة وتوجهت نحو الجميع.

بقيت واقفاً بفم مفتوح، منزوع السلاح ومشوشاً.

«يسرني أنك سألت»، قلت. «لم أعطِ إطلاقاً إلى قائد الدفة بعض التاليرات».

«حسناً، لم تقم أنت بذلك؟». فتحت الباب المؤدي إلى المطبخ ونادت على قائد الدفة. «أنت تتذكر سفرتنا إلى جزيرة كورهولم، يا يعقوب؟ أنت أنقذت حذائي، الذي سقط في الماء؟».

«نعم»، أجاب يعقوب.

«أنت حصلت على خمسة تاليرات لأنك أنقذت حذائي؟».

«نعم، أنت أعطيتني.....».

«حسناً، يمكنك الذهاب».

ماذا تعني بهذه المراوغة؟ فكرت. هل تريد أن تخزيني؟ فلن تنجح بهذا، لن أحمر خجلاً على ذلك. قلت بوضوح وصوت عال:

«يجب أن أوضح للجميع، بأن هذا إما خطأ أو كذب. لم يخطر على بالي مرة أن أعطي قائد الدفة بعض التاليرات من أجل حذائك. ربما كان على أن أفعل ذلك، لكن هذا لم يحدث حتى الآن».

«وعليه نواصل الرقص»، قالت بعبوس. «لماذا لا نرقص؟».

إنها مدينة لي بتفسير حوله، قلت لنفسي، وذهبت وتحينت الفرصة لكي أتحدث معها. دخلت إلى غرفة مجاورة ولحقت بها.

«بصحتكِ»، قلت وأردت أن أشرب معها.

«لا شيء في كأسي»، قالت باقتضاب.

ومع ذلك كان كأسها مليئاً منتصباً أمامها.

«اعتقدت، أن الكأس الموجود هناك هو كأسكِ؟».

«لا، هو ليس كأسي»، قالت واتجهت باهتمام إلى رجل يقف بجوارها.

«المعذرة، إذن»، قلت.

كان هناك كثير من الضيوف، الذين انتبهوا إلى هذا المشهد الصغير.

حشرج قلبي في داخلي، وقلت مهاناً:

«لكن مع ذلك فإنك مَدينة لي بتفسير...».

نهضت، أمسكت بكلتا يدي وقالت بصوت نافذ:

«لكن ليس اليوم، ليس الآن. أنا حزينة جداً. يا إلهي، كم تنظر إلي! لقد كنا أصدقاء ذات مرة....».

استدرت يميناً وذهبت مرة أخرى إلى الراقصين.

بعد ذلك بقليل دخلت إدفاردا أيضاً، جلست عند البيانو، حيث جلس التاجر المتجول وعزفت لحناً راقصاً، كان وجهها في تلك اللحظة طافحاً بشجن

خفي.

«لم أتعلم أبداً أن أعزف»، قالت وهي تنظر إليّ بعينين قاتمتين. «هل يمكنني في آخر الأمر ذلك».

لم أملك أية إجابة عن هذا. لكن قلبي حلّق نحوها ثانية، وسألتُ:

«لماذا أصبحت فجأة حزينة جداً، يا إدفاردا؟ لو كنت تعلمين، كم أعاني من هذا ».

«لا أعرف لماذا»، أجابت. «ربما بسبب كل الأشياء. ليت هؤلاء الناس يذهبون ثانية حالاً، جميعهم مرة واحدة. كلا، لست أنت؛ تذكر، عليك أن تكون الأخير».

مرة أخرى تم إحيائي بهذه الكلمات، ورأت عيناي النور في الصالة المضيئة. جاءت ابنة الكاهن إليّ وراحت تتحدث معي، تمنيت أنها بعيدة، بعيدة جداً وأجبتها إجابة مختصرة. لم أنظر إليها عمداً، عندما تحدثت عن نظرتي الحيوانية. استدارت نحو إدفاردا وأخبرتها، أنها ذات مرة في الخارج، أعتقد، في ريغا، كانت ملاحقة من رجل في الشارع.

«بقي يلاحقني شارعاً بعد شارع وابتسم لي». قالت.

«هل كان أعمى؟»، انفجرت لكي أحصل على رضى إدفاردا. بنفس الوقت هززت كتفي.

فهمت السيدة الشابة على الفور كلمتي الخشنة وردّت:

«نعم، لا بُدّ أنه يكون كذلك، طالما أنه استطاع أن يلاحق إنساناً عجوزاً ومريضاً مثلي».

لكنني لم أنل امتنان إدفاردا، سحبت صديقتها معها، وراحتا تتهامسان وكل منهما تهز رأسها. من الآن فصاعداً، تُركتُ تماماً لنفسي.

مرت ساعة أخرى. تبدأ طيور البحر بالاستيقاظ هناك على الشطآن الصخرية، وتردد صراخها خلال نوافذنا المفتوحة. هزّة فرح اجتاحتني بسماع صيحات الطيور الأولى تلك، وشعرت بالحنين إلى الشطآن الصخرية...

جاء الطبيب مرة أخرى في مزاج جيد وجلب كل الانتباه إليه، ولم تصبح النسوة متعبات بأن يكنّ بقربه. هل هو هذا منافسي هناك؟ فكرت، وفكرت كذلك بساقه المعاقة وهيئته المزرية. أقسم يميناً جديداً ومضحكاً، قال، «موت ومعاناة مؤلمة»(19)، وكل مرة استخدم هذا القسم الغريب، ضحكت بصورة عالية. خطر على بالي في معاناتي أن أعطي هذا الرجل كل المنافع التي أتمكنها، ما دام كان هو منافسي. سمحت له أن يكون الطبيب أوّلاً والطبيب آخراً، وهتفت: «اسمعوا، على أية حال، ما يقوله الطبيب!». وأجبرت نفسي على أن أضحك عالياً بسبب طريقة حديثه.

«أنا أحب هذا العالم»، قال الطبيب، «إنني اتشبث بقدمي ويدي بالحياة. وعندما أموت ذات يوم، عندها آمل أن أحتل مكاني في الخلود في مكان ما فوق لندن أو باريس، بحيث أستطيع أن أسمع ضجيج رقص(20) البشر كل الوقت، كل الوقت».

«عظيم!»، صرخت وسعلت من الضحك، علماً أنني لم أكن بأقل ما يمكن في حالة سكر.

بدت إدفاردا أن تكون مغتبطة أيضاً.

عندما غادر الضيوف دلفت في أحد الغرف الصغيرة المجاورة، وجلست منتظراً. سمعت وداعاً تلو الآخر على السلم، استأذن الطبيب أيضاً وغادر. وسرعان ما خمدت جميع الأصوات. خفق قلبي سريعاً، بينما كنت أنتظر.

دخلت إدفاردا ثانية. عندما رأتني، غدت للحظة واقفة مندهشة، لذلك قالت مبتسمة:

«آه، نعم، إنك هنا. هذا لطف منك أن تنتظر للآخر. أنا الآن تعبة للغاية».

بقيت واقفة.

قلت، وأنا أنهض أيضاً:

«نعم، الآن أنت بحاجة إلى الراحة. آمل، أن مزاجك العكر قد انقضى، يا إدفاردا. كنتِ حزينة للغاية منذ فترة وجيزة، وقد آلمني هذا».

«سوف ينتهي الأمر، عندما أنام ».

لم يعد لديّ أي شيء أضيفه، وذهبت إلى الباب.

«نعم، شكراً لهذه الليلة»، قالت ومدت يدها لمصافحتي. وعندما أرادت أن ترافقني على الدرج أيضاً، سعيت إلى تجنبها.

«لا تحتاجين»، قلت، «لا تزعجي نفسك، أستطيع بنفسي...».

لكنها مع ذلك رافقتني. وقفت هناك في الرواق، وانتظرت بصبر، بينما وجدت قبعتي، بندقيتي وسائلي. كانت هناك عصا في الزاوية، رأيتها بوضوح، أمعن النظر بها، وأتعرف عليها ثانية، إنها عكّاز الطبيب. عندما لاحظت بأي اتجاه تنظر عيني، أصبحت حمراء من الحرج، وكان واضحاً من النظر إلى وجهها، أنها كانت بريئة ولم تعرف عن العكّاز(21). مرت دقيقة كاملة. أخيراً، يجتاحها نفاد صبر غاضب، وتقول مرتعشة:

«عصاك. لا تنس عصاك».

تسلمني لأجل عيني عكّاز الطبيب.

نظرت إليها، كانت لا تزال تمسك بالعصا، كانت يدها ترتعش. ولوضع نهاية إلى هذا، أخذت العصا، وأعدتها إلى الزاوية. وقلت:

«إنها عصا الطبيب. أنا لا أفهم، أن هذا الرجل الأعرج بوسعه أن ينسى عصاه».

«هذا الأعرج!»، صرخت بمرارة، وتقدمت خطوة أخرى نحوي. «أنت لا تعرج، بالتأكيد لا؛ لكن لو كنت تعرج، فرضاً، لما كان بإمكانك أن تكون بمستواه، لا، ليس بوسعك، لا يمكنك أن تكون بمستواه، إذن!».

بحثت عن جواب، كل شيء اختفى بالنسبة لي، فصمت.

وبانحناءة كبيرة انسحبت من الباب ومن ثم على السلّم. هنا وقفت لحظة وحدقت إلى الأمام مباشرة، بعد ذلك مضيت.

في الحقيقة، أنه نسى عصاه، فكرت، وهو سيعود بهذه الطريقة لكي يجلبها. وهو لن يسمح لي أن أكون آخر رجل من المنزل.... قطعت الطريق ببطء شديد، واستكشفت ذهاباً وإياباً، توقفت عند حافة الغابة. وأخيراً بعد نصف ساعة انتظار جاء الطبيب ماشياً باتجاهي، لقد رآني فمشى سريعاً. وحتى قبل أن يقول شيئاً، رفعت طاقيتي كي أختبره. رفع هو أيضاً قبعته. توجهت مباشرة إليه وقلت:

«لم أسلم عليك».

تراجع خطوة وحدق بي.

«ألم تسلم؟».

«لا»، قلت.

فاصل صمت.

«نعم، لا يهمني ما قمت به»، أجاب بشحوب. «سأجلب عصاي، الذي نسيته».

لم يكن لدي ما أقوله على هذا؛ لكنني انتقمت بطريقة أخرى، مددت بندقيتي أمامه، كما لو أنه كلبٌ، وقلت:

«اقفز!».

صفّرت وجذبته لكي يقفز.

لبرهة قصيرة خاض صراعاً مع نفسه، واتخذ وجهه أغرب تعبير، بينما زمّ شفتيه وثبت نظراته على الأرض. فجأة نظر بحدة إليّ، أضاءت ملامحه نصف ابتسامة، وقال:

«حقيقة، لماذا تفعل كل هذا؟».

لم أجب؛ لكن كلماته أثرت بي.

مد يده فجأة وقال بخفوت:

«هناك شيء ما على غير ما يرام فيك. لو ستقول لي، ما هو، لربما.....».

غمرني الآن العار واليأس، تلك الكلمات الهادئة جعلتني أفقد توازني. أردت أن أقوم بشيء جيد له مرة أخرى، طوقته من خصره وصرخت:

«سامحني على هذا، تسمع! لا، ما الخطأ الذي حدث معي؟ لا شيء على غير ما يرام، ولا أحتاج إلى مساعدتك. ربما تبحث عن إدفاردا؟ ستجدها في البيت. لكن استعجل، وإلاّ فإنها ستضطجع قبل أن تصل؛ كانت متعبة جداً، لقد رأيت ذلك بنفسي. أقول لك الأفضل، أنني أعرف الآن، وهذه حقيقة، ستجدها في البيت، اذهب فحسب!».

استدرت واستعجلت مبتعداً عنه، وبخطوات واسعة دخلت الغابة وإلى المنزل في الكوخ.

بقيت جالساً لفترة طويلة على الديوان وبنفس الوضعية تماماً، التي كنت دخلت بها، حيث السائل على كتفي والبندقية في اليد. أفكار غريبة ظهرت في رأسي. لماذا سلمت أمري، مع ذلك، إلى الطبيب! لقد أثار استيائي، أنني طوقته من خصره ونظرت إليه بعينين دامعتين؛ أنه أراد أن يمضي إلى هناك، فكرت، وربما يجلس في هذه اللحظة ويضحك عليّ مع إدفاردا. كان قد ترك خلفه عصاه في الرواق. أليس صحيحاً، لو أنني علاوة على ذلك كنت أعرج، فما كان بوسعي أن أكون بمستوى الطبيب، لن أكون على الإطلاق بمستواه، هذه كانت كلماتها.....

أخذت مكاني في وسط على الأرضية، أشد يدي على بندقيتي، وأضع فمها باتجاه مشط قدمي الأيسر وأضغط على الزناد. تمر الطلقة بين أصابع القدم وتثقب الأرضية. فينبح إيسوب نباحاً قصيراً ومرعباً.

بعد ذلك بقليل طرق أحدٌ عليّ الباب.

كان الطبيب، الذي جاء.

«أعتذر، إذا كنت أزعجك»، ابتدأ.

«لقد ابتعدت سريعاً جداً، فكرت، ما كان أن يضر لو أننا تحدثنا قليلاً. أنا أعتقد، هنا رائحة بارود؟».

كان صاحياً تماماً.

هل التقيت بإدفاردا؟ هل حصلت على عصاك؟»، سألت.

«حصلت على عصاي. كلا، إدفاردا قد استلقت في فراشها... ما هذا؟ لكن، أنك، في الحقيقة، تنزف؟».

«لا، لا شيء تقريباً. كنت أريد أن أضع البندقية، فانطلقت الرصاصة؛ هذا لا يعني شيئاً. ليأخذك الشيطان، لماذا سأكون ملزماً على أن أجلس هنا وأعطيك معلومات حول هذا؟.... إذن، أنت حصلت على عصاك».

حدق بثبات بجزمتي الممزقة وبالدم، الذي سال. وبحركة حيوية وضع عصاه أرضاً ونزع قفازه.

«اجلس هادئاً، ينبغي خلع جزمتك»، قال. «كان هذا بالضبط، ما خمنت، أنني سمعت إطلاقة بندقية».

# XVIII

كم ندمت فيما بعد على تلك الطلقة الحمقاء! لم يكن الأمر برمته يستحق كل هذا العناء، وهو لم يحقق أية فائدة أيضاً، فقد قيدني إلى الكوخ لعدة أسابيع. لا تزال جميع المضايقات والإزعاجات حيّة بالنسبة لي. يجب أن تأتي المُنظفة كل يوم إلى كوخي وتقيم تقريباً هناك فيه باستمرار، وتقوم بعمليات شراء الطعام، وتشرف على إدارة أعمال البيت. مضت عدّة اسابيع. إذن!

في أحد الأيّام راح الطبيب يتحدث عن إدفاردا. سمعت اسمها، سمعت، ما قالت وفعلت، ولم تعد لها أية أهمية كبيرة بالنسبة لي، كان الأمر، كما لو أنه تحدث عن شيء بعيد ولا يعنيني. بأيّة سرعة يستطيع الإنسان أن ينسى!

فكرت مدهوشاً.

«حسناً، ما هو رأيك أنت بالذات بإدفاردا، طالما أنت تسأل؟ في الحقيقة لم أفكّر بها منذ أسابيع. انتظر لحظة، يبدو لي أن هناك شيئاً بينكما، كنتما معاً في

أغلب الأحيان، وكنت المضيف في نزهة إلى جزيرة وهي المضيفة. لا تنكر ذلك، يا دكتور، كان هناك شيء، تفاهم معين. كلا، بالله عليك، لا تجبني، فانت غير مدين لي بأي توضيح، أنا لا أسأل لكي أعرف شيئاً دعنا نتحدث عن شيء آخر، إذا أردت. متى يمكنني أن أذهب على قدمي؟».

بقيت جالساً وأفكّر بما قلت. لماذا كنت في أعمق أعماقي خائفاً من أن يتحدث الطبيب؟ ماذا كانت إدفاردا بالنسبة لي؟ لقد نسيتها.

في وقت لاحق أيضاً جرى الحديث عن إدفاردا ثانية، وقاطعت الطبيب مرة أخرى، الله يعلم، ما كنت أخاف من سماعه.

«لماذا قاطعتني؟»، سأل. «لا يمكنك أن تتحمل على الإطلاق، أن أتناول اسمها في فمي؟»

«قل لي»، قلت، «ما هو رأيك حقيقة حول الآنسة إدفاردا؟ يهمني أن أعرف».

كان ينظر لي بريبة.

«رأيي الحقيقي؟».

«ربما تطلعني بشيء جديد اليوم، وربما قد خطبتها علاوة على ذلك وحصلت على نعم. هل أهنئك؟ لا؟ نعم، ليصدقك الشيطان، ها ها ها».

«إذن، كان هذا الأمر، الذي كنت خائفاً منه!».

«خائف منه؟ يا أفضل طبيب!».

فاصل صمت.

«كلا، لم أخطبها وأحصل على نعم»، قال؛ «ربما فعلت أنت ذلك. لا يخطب المرء إدفاردا، إنها تأخذ هذا الذي تقع عليه. هل تظن، إنها فتاة قروية؟ لقد

التقيت هذه الإنسانة هنا في أعالي النورلاند وشاهدت بنفسك. إنها طفلة واجهت نقداً قليلاً، وامرأة متعددة النزوات. باردة؟ لا تخف لذلك. دافئة؟ ثلج، أقول لك. فما هي إذن؟ فتاة صغيرة بستة عشر، سبعة عشر، أليس كذلك؟ لكن حاول فحسب، أن تؤثر على هذه الفتاة اليافعة، وستسخر من كل جهودك. حتى الأب لا يستطيع التحكم بها، هي تطيعه على ما يبدو، لكنها نفسها تهيمن في الواقع. إنها تقول، إن لك نظرة حيوانية...».

«إنك مخطئ، بل إنها واحدة أخرى، التي تقول، بأن لي نظرة حيوانية».

«واحدة أخرى؟ أيهنّ؟».

«لا أعرف. واحدة من صديقاتها. كلا، هذه ليست إدفاردا، التي تقول هذا. انتظر لحظة، لعلها فعلاً إدفاردا نفسها...».

«عندما تنظر اليها، يترك هذا وذاك التأثير عليها، تقول. لكن هل تعتقد، أن هذا سيقربك قدر شعرة إليها؟ بالكاد. انظر فقط إليها، لا تعفي عينيك هذا؛ لكن بمجرد أن تشعر أنها مكشوفة لك، فستقول لنفسها؛ انظر، هناك يقف الآن هذا الرجل ويحدق بي ويعتقد، أنه فاز باللعبة! وأنها ستبعدك بكلمة واحدة أو بكلمة باردة عشرة أميال. ألا تعتقد، أنني أعرفها! كم تفترض عمرها؟».

«في الحقيقة أنها ولدت عام ثمانية وثلاثين».

«كذب. وقد بحثت من أجل الكذابين ذلك. إنها عشرين عاماً، وبالمناسبة، يمكن أنها تجاوزت الخامسة عشرة. وهي ليست نفس سعيدة، هناك خلاف كبير في رأسها الصغير. عندما تقف وتنظر نحو الجبال والبحر، وفمها يتخذ تلك الحركة هنا، وذلك الألم هنا، حينها تكون تعيسة؛ إلا أنها أكثر إباء ومكابرة كي تبكي. إنها مغامرة، وتملك خيالاً حاداً، وتنتظر أميراً. كيف كان الحال مع الخمسة تاليرات التي كان عليك أن تتخلى عنها؟».

«مزحة. كلا، لم تكن أي شيء...».

«كان هناك أمر أيضاً. إنها فعلت نفس الشيء معي ذات مرة:

مضى عام على هذا. كان على ظهر سفينة البريد، بينما كانت ترسو هنا في الميناء. كانت تمطر وباردة. زوجة مع طفل صغير تجلس على سطح السفينة وترتعش. تسألها إدفاردا: هل أنت بردانة؟ نعم، الزوجة متجمدة. ألم يبرد الصغير أيضاً؟ نعم، الصغير كان بردانا أيضاً. لماذا لا تذهبين إلى داخل المقصورة؟ تسأل إدفاردا. أنا حاجزة على السطح، تجيب الزوجة. تتطلع إدفاردا بي. الزوجة حاجزة مكان على السطح فقط، تقول. مع العمل مع هذا الوضع؟ قلت في داخلي. لكنني أفهم نظرة إدفاردا. وأنا لم أولد رجلاً غنياً، لقد عملت متقدماً من لا شيء، وأحسب النقود التي أنفقها. ولهذا أنسحب بعيداً عن الزوجة وأفكّر: هل ينبغي الدفع لها، فدع إدفاردا تدفع بنفسها، هي وأبوها لديهما إمكانيات أفضل مني. وإدفاردا تدفع في الواقع بنفسها. بهذا الخصوص، فهي رائعة، ولا تفتقر بتاتاً إلى العاطفة. لكن كما أنني أجلس هنا، كحقيقة، فإنها كانت تتوقع مني أن أدفع أجرة الحجز في المقصورة للزوجة وصغيرها، لقد رأيت هذا بنظرتها. ماذا بعدُ؟ نهضت الزوجة وشكرت عن هذه المساعدة الكبيرة. لا تشكريني، بل اشكري هذا السيد هناك، أجابت إدفاردا واشارت بتعبير وجه هادئ إليّ. ما هو رأيك؟ اسمه أن الزوجة تشكرني أيضاً، ولم يكن بوسعي أن أردّ على ذلك، كان علي أن أدع الأمر يجري في مسراه. لاحظ، أن تلك هي ميزة واحدة، لكنني أستطيع أن أخبرك المزيد. وما يتعلق بالخمسة تاليرات إلى قائد الدفة، فإنها شخصياً أعطت الرجل تلك النقود. لو كنت فعلت ذلك، لكانت قفزت حول عنقك؛ كان يتوجب عليك أن تكون هذا الرجل، الذي ارتكب مثل هذا العمل غير المبرر الرائع من أجل فردة حذاء مهترئة، وتوافق ذلك مع الصورة التي قد تخيلتها لنفسها. وحيث أنك لم تفعل هذا، قامت هي بعمل هذا بنفسها، باسمك. هكذا هي، خرقاء ومدققة بنفس الوقت».

«هل يستطيع أحد أن يفوز بها؟»، سألت.

أجابه الطبيب بشرود: «ينبغي أن تعاقب. ثمة شيء خاطئ في هذا، فإنها حرة أكثر من اللازم في أفعالها، يمكنها أن تفعل كل شيء تريده، وتربح بقدر ما تريد. المرء منشغل بها، ولا يعاملها بلا مبالاة، وهناك على الدوام أحد ما تحت اليد، الذي يمكن أن تمارس نفوذها عليه. هل لاحظت، كيف أعاملها؟ مثل طالبة مدرسة، وقحة قليلاً، أهذبها، وأوبّخ لغتها، وانتبه لـ(لتصرفاتها) وأكبحها. ألا تعتقد، أنها تفهم هذا؟ آخ، إنها فخورة ومتصلبة، وهذا يجرحها باستمرار؛ لكنها أيضاً أشد فخراً لتظهر أن هذا يؤذيها. لكن هكذا ينبغي أن تكون. عندما جئت، كنت قد عاقبتها بالفعل خلال عام، وقد بدأ الأمر يؤثر، كانت تبكي من الألم والاستياء، وكانت قد غدت إنساناً عقلانياً. فجئتَ أنت وحطمتَ كل شيء. هكذا هو الحال. واحد يطلقها، والثاني يأخذها ثانية؛ بعدك يجيء على الأرجح ثالث، من يدري».

أوه، لدى الطبيب شيء ما يثأر منه، فكرت، وقلت:

«قل لي الآن أيضاً، يا دكتور، لماذا كان لديك هذه الصعوبة الكبيرة والمتعبة لتخبرني كل هذا؟ هل أعينك على تأديب إدفاردا؟».

«بالمناسبة، إنها ساخنة كبركان»، استمر، بدون أن يعير انتباهاً إلى سؤالي. «أنت سألت، عما إذا استطاع أحد أن يفوز بها. نعم، لماذا لا؟ إنها تنتظر أميرها، وهو لم يأتِ، لقد أخطأت مراراً وتكراراً، فقد اعتقدت أيضاً، أنك كنت الأمير، خصوصاً لأن لديك نظرة حيوانية، ها ــ ها. اسمع. أيها الملازم، كان يجب عليك على الأقل، أن تجلب بدلتك العسكرية. لكان لها معناها الآن. لماذا لا ينبغي لاحد أن يفوز بها؟ لقد رأيتها تفرد يديها إلى الشخص، الذي استطاع أن يأتي ويأخذها، ويمضي بها بعيداً، ويهيمن على جسدها وروحها. نعم. لكن ينبغي أن يأتي من الخارج، يظهر ذات يوم كمخلوق متفرد إلى حد ما. أتوجس أن السيد ماك ذهب في حملة، ولا بد أن سفرته لها هدف آخر. في إحدى

المرات السابقة كان السيد ماك أيضاً في سفرة، وعندما عاد، كان برفقته رجل».

«رافقه رجل؟».

«آه، لكنه لم يكن صالحاً». قال الطبيب ضاحكاً بصورة موجعة. «كان رجلاً بعمري، كان يعرج أيضاً، تماماً مثلي. لم يكن الأمير».

«وإلى أين سافر؟»، سألت، ونظري ثابت على الطبيب.

«إلى أين سافر؟ من هنا؟ لا أعرف». أجاب مرتبكاً. «حسناً، لقد توقفنا عند هذا لوقت طويل للغاية. في بحر أسبوع سيكون بإمكانك أن تستخدم قدمك. إلى اللقاء».

# الفصل 5

## XIX

أسمع صوت امرأة خارج كوخي، فيتدفق الدم إلى رأسي، إنه صوت إدفاردا:

«هل أسمع، أن غلان، غلان مريض؟».

فتجيب المنظفة أمام الباب:

«إنه معافى تقريباً ثانية».

هذا النداء «غلان، غلان» تغلغل في عظامي، لقد كرّرت اسمي مرتين، لقد أثر بي، كان صوتها واضحاً ومؤثراً.

فتحَت بابي دون طرق، دخلت على عجل وحدقت بي. فجأة كان الأمر بالنسبة لي كما كان في الأيّام الخوالي، مشت في سترتها المطلية وربطت صدريتها تحت البطن قليلاً لكي تبدو طويلة في الخصر. رأيت كل هذا حالاً، ونظرتها، وجهها الأسمر مع حاجبيها في أعلى الجبهة، والتعبير الحاني العجيب في يديها، كل هذا تغلغل بقوة كبيرة في داخلي وجعلني في حيرة من أمري. هي قد قبّلتُ! فكرت. نهضتُ وبقيتُ واقفاً.

«حضرتك تنهض، وتبقى واقفاً»، قالت. «اجلس على أية حال، قدمك سيئة، لقد أطلقت النار على نفسك. يا إلهي الطيب، كيف حدث هذا؟ لقد عرفت بهذا الأمر الآن فحسب. كنت أفكّر كل الوقت: أين صار غلان؟ هو لم يعد يأتِ أبداً. لم أطّلع على أي شيء. أسمعُ، أنك أطلقت النار على نفسك، منذ أسابيع عديدة، ولم أعرف أية كلمة عن الأمر. كيف حالك الآن؟ لقد أصبحت شاحباً

بشكل ملحوظ، أكاد لا أعرفك ثانية. والقدم؟ هل ستصبح أعرج؟ الطبيب يقول، إنك لن تعرج. كم أحبك بعمق، لأنك لن تصير أعرج، أشكر الله على هذا. آمل أنك تعذرني على مجيئي إلى هنا، وهو أمر طبيعي، ركضت أكثر مما مشيت...».

انحنت علي، كانت قريبة مني، شعرت بأنفاسها على وجهي، مددت يدي مرحباً بها. حينذاك ابتعدت. كانت عيناها لا تزالان مخضلّتين.

«حصل الأمر على النحو التالي»، تلعثمت: «كنت أريد أن أضع البندقية في الزاوية مسكتها بصورة خاطئة، على نحو، بحيث يكون الأعلى إلى الأسفل؛ فسمعت فجأة إطلاقة. كان سوء حظ».

«سوء حظ»، قالت وهي غارقة في التفكير وهزّت رأسها، «دعني أرى، إنها القدم اليسرى؛ لكن لماذا بالذات اليسرى؟ نعم، كانت صدفة...».

«أجل، صدفة؟»، قاطعتها. «كيف لي أن أعرف، لماذا صارت اليسرى بالذات؟ يمكنك أن تلحظي بنفسك، هكذا مسكت البندقية، فلم يكن بالإمكان أن تكون القدم اليمنى. نعم، لم يكن الأمر مسلياً جداً ».

تطلعت إليّ غارقة في التفكير.

«حسناً، أنت بالفعل في تحسن جيد»، قالت ونظرت حولها في الكوخ. «لماذا لم ترسل هذه المرأة إلينا حول الطعام؟ على ماذا عشت؟».

تحدثنا لدقائق إضافية معدودة معاً. سألتها:

«عندما جئت كان وجهك متأثراً، وعيناك مشرقتين، وصافحتِني. والآن أصبحت عيناك لا أباليّتين ثانية. هل أنا مخطئ؟».

فاصل صمت.

«لا يمكن للإنسان أن يكون دائماً في نفس الحالة...».

«قولي لي في هذه المرة فقط»، قلت: «ما هو هذا على سبيل المثال في هذه الحالة، الذي قلته أو عملته لا يريحك؟ ربما أمكن أن يكون نقطة إرشاد لي في المستقبل».

نظرت من الشباك، نحو الأفق البعيد، وقفت وفكرت ملياً، وأجابتني، حيث جلست خلفها:

«لا شيء، يا غلان. يمكن للإنسان أن يحصل أحياناً على أفكاره. هل أنت مستاء الآن؟ تذكر، البعض يعطي القليل، وهو كثير بالنسبة إليهم، آخرون يقدمون الكثير، وهو لا يكلفهم أي انتصار؛ فمن هو الذي قدم أكثر؟ أنت صرت كئيباً أثناء مرضك. كيف وصلنا للحديث حول هذا؟»، وفجأة تحدق بي، وفرح يلوّن وجهها، وتقول: «لكن لتكن معافى ثانية سريعاً. إلى اللقاء مرة أخرى». عند ذاك مدت يدها لتصافحني مودعة.

الآن، كان في بالي أن لا آخذ يدها. نهضت، ووضعت يدي خلف ظهري وانحنيت إلى حد بعيد؛ وأردت بهذا أن أشكرها على زيارتها الكريمة.

«معذرة، بأني لا أستطيع أن أرافقك أبعد». قلت.

عندما غادرت، جلست للتفكير في كلّ الأمر مجدداً. كتبت رسالة وطلبت أن تُرسل بدلتي العسكرية.

## XX

اليوم الأول في الغابة.

كنت سعيداً ومتعباً، اقتربت كل الحيوانات مني وحدقت بي. على أوراق الأشجار حط الثلج، وزحفت الجعلان على الطرق. لقاء طيب! فكرت. كان جو

الغابة يروح ويجيء يتخلل حواسي، بكيتُ من الحب، وكنت فرحاً تماماً بذلك، وكنت مفعماً بالامتنان. أنت أيتها الغابة الطيبة، يا بيتي، يا سلام الله، سأقول لك من أعماق قلبي.... أتوقف، أستدير نحو كل الاتجاهات وأذكر الطيور، الأشجار، الحصى، العشب، النمل بالأسماء، وأنظر حولي وأذكرها بالترتيب. أنظر نحو الجبال وأفكّر: نعم، أنا قادم الآن! كما لو أنني استجبت إلى دعوة. هناك في الأعالي الصقر يحتضن بيضه، كنت أعرف عن أعشاشه. لكن التفكير بالصقر المحوّم في أعالي الجبال أرسلت مخيلتي إلى البعيد.

عند الظهر جذفت إلى البحر، هبطت على جزيرة صغيرة خارج الميناء. كانت هناك أزهار ذات ألوان بنفسجية بسيقان طويلة تصل إلى ركبتي، خوّضت في نباتات غريبة، شجيرات توت العليق، وحشائش خشنة؟ لم تكن هناك حيوانات، وقد لا يوجد هناك بشر أيضاً. كان البحر يزبد برفق باتجاه الجزيرة وغمرني بسحابة من هدير، في أعالي جزر البيض صرخت وحلقت كل طيور الشاطئ. لكن البحر طوقني من كل الجهات كما في العناق. طوبى للحياة والأرض والسماء، طوبى لأعدائي، أود في هذه اللحظة أن أكون رحيماً لأسوأ أعدائي وأربط عقدة حذائه...

تتناهى إلى سمعي أغنية مرحة من صيادي السيد ماك، ويمتلئ داخلي بأشعة الشمس بهذا الصوت المألوف. أجذف نحو الرصيف، وأتجاوز كابينات صيادي الأسماك وأتوجه إلى البيت. النهار كريه، فأتناول وجبة طعامي، وأتقاسم طعامي مع إيسوب وأذهب مرة أخرى إلى الغابة. رياح لطيفة تبحر نحو وجهي. طوبى لك، أقول للرياح لأنّها تأتي باتجاه وجهي، طوبى لك؛ دمي ينحني لك في أوردتي امتنانا لك! إيسوب يضع إحدى براثنه على ركبتي.

يغلبني تعب فأخلد إلى النوم.

دونغ، دونغ! هل تدقّ الساعة؟ على بعد أميال ينتصب جبل. أصلي صلاتين، واحدة لكلبي وواحدة لنفسي، ثم دخلنا في الجبل. تنغلق البوابة خلفنا، مما

يسبب هزّة فيّ، وأستيقظ.

سماء حمراء مشتعلة، الشمس ترتفع منتصبة وتضرب أمام عيني، والليل والأفق يتموجان بالضوء. إيسوب وأنا ننتقل إلى الظلال. إنها هادئة حولنا. لا، لا نريد أن ننام أكثر، قلت لإيسوب، نريد أن نصطاد غداً، وهذه الشمس الجميلة تشرق علينا، ولم ندخل الجبل.... وتنتعش لدي حالات مزاجية خاصة، ويصعد دمي إلى رأسي.

أشعر بالإثارة وحتى الضعف، أن أحداً يقبلني، والقبلة على شفتي. أنظر حولي، لا شيء مرئياً موجود. إيسلين! أقول. شيء يخشخش على العشب، يمكن أن تكون أوراقاً سقطت على الأرض، وربما تكون خطى. تهب نسمة تتخلل الغابة، قد تكون أنفاس إيسلين، فكرت. في تلك الغابة سارت إيسلين، وهنا سَمِعَت صلوات صيادين بجزمات صفر وأردية حمر. كانت تسكن في أرضها، على مبعدة نصف ساعة من هنا، كانت تجلس في نافذتها منذ أربعة أجيال بشرية خلت وسمعت بوق الصيد تصدح في الغابة في كل مكان. كانت هنا وعول، وذئاب ودببة، وكان الصيادون عديدين، وكلهم رأوها تكبر، وكلّهم انتظروها. أحدهم رأى عينيها، الآخر سمع صوتها، بينما نهض مرة غلام لم يستطع النوم في الليل وفتح ثقباً في جدار غرفة إيسلين، ورأى مخمل بطنها الأبيض. في سنتها الثانية عشرة جاء دُنداس(22). كان إسكتلندياً، كان يتاجر بالسمك ويملك العديد من السفن. وكان له ولد. عندما بلغت إيسلين السادسة عشرة، رأت للمرة الولى الشاب دُنداس. كان حبّها الأول.....

ومن ثم تجتاحني مشاعر غريبة، ويصبح رأسي مثقلاً للغاية، بينما أجلس هناك؛ أغمض عيني وأشعر بقبلة إيسلين. إيسلين، هل أنت هنا، أنت، يا عاشقة الحياة؟ أقول، وهل عندك ديدريك واقفاً خلف شجرة؟.....لكن رأسي صار أثقل وأثقل وأنا أنغمر في أمواج النوم.

لول! لول! صوت يتحدث، كما لو أن السبع نجوم تغني خلال دمي، إنه صوت إيسلين:

نم! نم! أريد أن أخبرك عن حبي بينما تنام، وأريد أن اخبرك عن ليلتي الاولى. أتذكّر، أنني نسيت أن أقفل بابي؛ كنت في السادسة عشرة، كان وقت الربيع والنسيم حاراً؛ جاء دُنداس. كان كما لو أن نسراً جاء خافقاً. التقيته صباحاً قبل وقت الصيد، كان في الخامسة والعشرين عاماً وجاء من رحلات بعيدة. راح يتنزه بجانبي في الحديقة، وعندما لمسني بذراعه، بدأت أحبه. لقد حصل على بقعتين حمراوين محمومتين في جبهته، وكان بإمكاني أن أقبل هاتين البقعتين.

في المساء بعد وقت الصيد، ذهبت وبحثت عنه في الحديقة، وكنت خائفة جداً من أنني سأجده. كنت أردد اسمه بخفوت مع نفسي، وكنت خائفة جداً من أنه سيسمع هذا. حينها يظهر من الأجمات ويهمس: في هذه الليلة، الساعة الواحدة! عند ذلك يختفي.

الليلة الساعة الواحدة، أقول لنفسي، ماذا كان يعني بهذا؟ لم أفهم أي شيء. إنه عنى بالتأكيد، أنه سيسافر ثانية الساعة الواحدة في هذه الليلة؛ لكن ماذا يهمني، إن هو يسافر؟

وكانت الحصيلة أنني نسيت إغلاق بابي.....

في الساعة الواحدة يصعد.

ألم يكن بابي مغلقاً؟ سألت.

سأغلقه، أجاب.

وأغلق الباب وحصرنا في الداخل.

كنت خائفة للغاية لضوضاء جزمته الكبيرة. لا توقظ خادمتي! قلت. كنت أيضاً خائفة جداً من الكرسي الذي يصدر صريراً، وقلت: لا، لا، لا تجلس على هذا الكرسي، إنه يطقطق!».

«هل أجلس معك على الأريكة؟»، سأل.

نعم، قلت.

لكنني قلت ذلك فحسب، لأن الكرسي كان يطقطق.

جلسنا على أريكتي. ابتعدت، وانتقل بعدي مقترباً. فأطرقت نظري.

«أنت بردانة»، قال وأخذ يدي. قال بعد قليل: «أنت بردانة!». وألقى ذراعه حولي.

صرت دافئة في ذراعه. وبقينا جالسين على هذا النحو لفترة قصيرة. وصاح ديك.

قال: «هل سمعتِ، صاح ديك، قريباً سيطل الصباح».

ولمسني وجعلني فاقدة.

عندما تكون متأكداً تماماً، أن الديك صاح، قلتُ متلعثمة.

رأيت مرة أخرى البقعتين الحمراوين المحمومتين على جبهته، وأردت أن أنهض. حينها أمسك بي، فقبلت هاتين البقعتين الجميلتين وأغمضت عيني له....

فجاء النهار، كل شيء كان صباحاً. استيقظت ولم أتعرف على الجدران في غرفتي ثانية، نهضت ولم أتعرف على حذائي الصغير ثانية، فسرى شيء ما

فيّ. ما الذي يمكن أن يسري فيّ؟ فكرت ضاحكة؟ وكم مرة دقّت الساعة؟ لم أكن أعرف أي شيء، لكنني أتذكّر فحسب، أنني نسيت أن أغلق بابي.

جاءت فتاتي.

ــ أزهارك لم تحصل على الماء، قالت.

لقد نسيت أزهاري.

«لقد دعكتِ تنورتك»، واصلت القول.

«أين يمكن أنني دعكت تنورتي؟»، أفكّر بقلب مبتهج؛ لا بد أنني فعلت ذلك في هذه الليلة؟».

تسير عربة حتى جدار الحديقة.

ولم تحصل قطتك على أي طعام، تقول فتاتي.

لكنني أغفل أزهاري، وفستاني، وقطتي، وأسأل:

هل هذا دُنداس، الذي توقف بعربته في الخارج؟ اطلبي منه أن يأتي إليّ حالاً، أنا بانتظاره، هناك شيء... شيء... وأفكّر مع نفسي: هل سيغلق الباب بالقفل عندما يأتي؟

يطرق على الباب. أفتح الباب له، وأغلق الباب بنفسي بالقفل لكي أقدم له خدمة صغيرة.

ــ إيسلين! هتف، وقبّل فمي طوال دقيقة كاملة.

ــ لم أرسل في طلبك، همستُ.

ــ ألم ترسلي؟ يسأل.

من جديد أصبح فاقدة، وأجيب:

ــ نعم، أرسلت في طلبك، اشتقت إليك ثانية بصورة لا توصف. فابقَ هنا قليلاً.

وبقيت عند عيني الحب. لم يتركني، طغت عليّ العاطفة وخبأت نفسي عنده.

أعتقد، أن شيئاً ما يصيح ثانية؟ قال وأصغى.

لكن عندما سمعت ما قاله، قاطعته بأسرع ما يمكنني، وأجبتُ:

ــ لا، كيف يمكن أن تظن، أن شيئا يصيح ثانية! لم يكن هناك شيء كصياح.

قبّل صدري.

كانت مجرد دجاجة صاحت، رأيتها في اللحظة الاخيرة.

انتظر لحظة، سأقفل الباب، نظر وأراد أن ينهض.

أمسكت به وهمستُ: إنه مغلق.......

ثم حل المساء ثانية، وغادر دُنداس، اجتاحني شيء مشرق. وقفت أمام المرآة، وحدقت عينان عاشقتان نحوي تماماً: كان هناك شيء يتحرك فيّ من خلال نظرتي، وانساب حول قلبي. يا إلهي، لم أكن قد نظرت إلى نفسي بهاتين العينين سابقاً أبداً، وقبّلت من العشق فمي في المرآة....

لكن الآن قد أخبرتك لذلك عن ليلتي الاولى وعن الصباح والمساء. بعد ذلك سأخبرك عن سفَن هيرلوفسن. هو أحببته أيضاً، سكن على بعد ميل من هنا، في جزيرة كما ترى هناك، لقد جذفت بنفسي إليه في ليالي الصيف الهادئة،

لأنني أحببته. أريد أن أحكي لك أيضاً عن ستامر. إنه قس، كنت أحببته. أنا أحب الجميع.....

أسمع من خلال غفوتي ديكاً يصيح في الأسفل من سيريلوند.

سمعتِ، يا إيسلين، ديك صاح إلينا أيضاً! أصيح مبتهجاً وأمدّ ذراعيّ. أستيقظ. إيسوب قد وقف مسبقاً على قوائمه. ابعد! أقول بأسى فيه حرقة وأتلفتُ حولي. لا أحد هنا! هنا لا أحد! فأذهب إلى البيت مفعماً بالدفء والإثارة. إنه الصباح، والديك يستمر بالصياح في سيريلوند.

قرب الكوخ كانت تقف امرأة، تقف إيفا. كانت تمسك حبلاً في يدها وستذهب إلى الغابة. تبدو حيوية الصباح على الفتاة الشابة، وكان صدرها يرتفع وينزل، والشمس تلونها بلون الذهب.

«يجب أن لا تصدق....»، تتلعثم.

ـ ما الذي لا أصدق، يا إيفا؟

«لم أجئ إلى هنا لأقابلك، لقد مررت فحسب....».

وأسوّد وجهها من الحياء.

## XXI

استمرت قدمي تسبب لي الألم والإزعاج، وغالباً ما تصاب بالحكة في الليل وتُبقيني مستيقظاً، ويمكن أن تخترقها غرزة مفاجئة، وكانت عند تغيّر الطقس مليئة بالروماتيزم. كان يدوم عدّة أيام. لكن لم يحصل أنني عرجت.

مضت الأيّام.

عاد السيد ماك، وكان علي أن أعرف على الفور، أنه كان قد عاد. أخذ قاربي مني، وقد أوقعني في حرج، فلم يكن موسم الصيد قد حلّ بعدُ، ليس بإمكاني أن أصيد أي شيء. لكن لماذا جردني من القارب بدون تأخير؟ اخذ اثنان من عمال بناء السيد ماك غريباً في القارب إلى البحر في الصباح.

قابلت الطبيب.

ــ أخذوا القارب مني. قلت.

جاء رجل أجنبي إلى هنا، قال. ينبغي أخذه إلى البحر يومياً وإعادته ثانية عند المساء إلى البيت. إنه يفحص أعماق البحر.

كان هذا الأجنبي فنلندياً، وقد التقى به السيد ماك صدفة على متن السفينة. جاء من سبتزبرغن مع بعض المجموعات من الأصداف وحيوانات البحر الصغيرة، وأطلقوا عليه اسم البارون. احتل صالة كبيرة إضافة إلى غرفة أخرى في بيت السيد ماك. وقد جلب اهتماماً كبيراً.

كنت في حاجة إلى اللحم، وبوسعي أن أطلب من إدفاردا قليلاً من الطعام لهذا المساء، فكرت. قمت بنزهة إلى سيريلوند. لاحظت على الفور إلى أن إدفاردا قد ارتدت تنورة جديدة، فهي تعتقد أنها كبرت، وأن تنورتها ضيقة جداً.

«أعتذر، بأنني بقيت جالسة»، قالت باختصار وبصورة جيدة ومدت يدها لي.

«نعم، للأسف، ابنتي، على غير ما يرام»، قال السيد ماك. «إنها نزلة برد، هي لم تكن حذرة..... على الأرجح، أنت أتيت لكي تحصل على تفسير عن قاربك؟ أنا مضطر لأعيرك قارباً آخر، زورقاً صغيراً؛ وهو ليس جديداً، لكن عندما تغرف الماء بهمة....لا، الحقَ أن لدينا عالِماً في المنزل، وسوف تفهم أن مثل هذا الرجل... ليس لديه وقت إضافي، فهو يعمل طوال النهار ويعود إلى المنزل في المساء. لا تذهب قبل أن يأتي، فيمكنك رؤيته، ستكون لديك

مصلحة في التعرف عليه. هذه هي بطاقته، ولي عهد، بارون. رجل محبوب. التقيت به عن طريق الصدفة».

أهّا! فكرت، إنك لن تُدعى في هذه المساء، شكراً لله، لقد ذهبت إلى هناك لمجرد التجربة، يمكنني العودة إلى المنزل ثانية. لا تزال لدي بعض الأسماك في الكوخ. سيكون هناك بالتأكيد مال للطعام. وكفى.

جاء البارون. رجل قصير، حوالي أربعين عاماً، ذو وجه طويل ضيق مع عظام الخد البارزة واللحية الخفيفة السوداء. نظرته ثاقبة وخارقة، لكنه كان يستخدم نظارات سميكة. على أزرار قميصه كان لديه تاج ذو الحافات الخمس أيضاً، كما في بطاقته. كان محنياً قليلاً، وكانت يداه الناحلتان تشفّان عن عروق زرق.؛ بينما كانت الأظافر كأنها من معدن أصفر.

«يسعدني كثيرا للغاية، أيها السيد الملازم، هل يقيم السيد الملازم منذ فترة طويلة هنا؟».

«بضعة اشهر».

رجل مريح. حثه السيد ماك للحديث عن قواقعه وحيواناته البحرية الصغيرة، وفعل ذلك برغبة، وأوضح لنا الأنواع الطينية حول كورهولم، وذهب إلى القاعة وجلب عينة من الأشنات من البحر الأبيض. كان يرفع سبابته اليمنى باستمرار ويحرّك نظارته الذهبية السميكة إلى الأمام والخلف على أنفه. كان السيد ماك مهتماً إلى أقصى درجة. مرت ساعة.

تحدث البارون عن حادثتي، عن طلقتي المشؤومة. هل شفيتُ؟ حقاً؟ أسعده ذلك.

من أخبره عن حادثتي؟ فسألت: «ممن سمع السيد البارون حول حادثتي؟».

«من... نعم، من هو يا ترى؟ السيدة ماك، على ما أعتقد، أليس كذلك، أيتها السيدة ماك؟».

تورد وجه إدفاردا بلون أحمر.

جئت وأنا فقير للغاية، وقد أثقلتني أيّام عديدة كآبة قاتمة؛ لكن خلال كلمات الغريب الأخيرة سرعان ما طافت فرحة في داخلي. لم أنظر إلى إدفاردا، إلا أنني فكرت: شكراً لأنك تحدثت عني، وأشرت إلى اسمي بلسانك، على الرغم من أنه لا معنى له إلى الأبد بالنسبة إليك. ليلة سعيدة.

ودعتهم. بقيت إدفاردا جالسة الآن أيضاً، اعتذرت بأدب، أنها كانت على غير ما يرام. مدت يدها لي بلا مبالاة.

ووقف السيد ماك يتبادل الحديث بحماس مع البارون. تحدث عن جدّه القنصل ماك:

لا أدري إن كنت أخبرت السيد البارون بالفعل، فقد ثبت هذا الدبوس كارل يوهان بيديه على صدر جدي».

خرجت إلى السلم، ولم يتبعني أحد. ألقيت نظرة عابرة من النافذة على الصالة الكبيرة، حيث وقفت إدفاردا، فارعة، منتصبة هناك، وهي تزيح الستارة بيديها الاثنتين، وراحت تنظر إلى الخارج. تجنبت أن أحييها، نسيت كل شيء، هيمن علي سيل من التشوش وقادني كي أنطلق بسرعة.

انتظر! توقف لحظة!

قلت لنفسي، عندما بلغت الغابة. يعرف الله في السماء، ينبغي أن تكون خاتمة لهذا! صرت بغتة حامياً من الغضب ورحت أنحب. آخ، لم يعد لدي أي شرف في صدري بعد الآن، لقد استمتعت على الأكثر بعطف إدفاردا لمدة

أسبوع، وقد انتهى هذا الآن منذ فترة طويلة، وتبعاً لذلك لن أضبط نفسي. من الآن فصاعداً سيناديها قلبي: غبار، هواء، وعفن في دربي، يعلم ربّ السماء....

وصلت الكوخ وعثرت على سمك وعملت وجبة طعام.

هنا تذهب وتضيء حياتك بتلميذة تافهة ولياليك مليئة بأحلام خاوية. وتقف ريح خانقة ساكنة حول رأسك، ريح كريهة، عمرها عام. بينما ترتعش السماء من أروع زرقة والجبال تنادي. تعال، يا إيسوب، هيّا!

# XXII

مرّ أسبوع. أجّرت قارب الحداد واصطدت السمك للطعام. كانت إدفاردا والبارون الغريب دائماً معا في المساء، حين يأتي من البحر إلى البيت، وقد رأيتهما مرّة عند الطاحونة. رأيتهما ذات مساء يمران بجانب كوخي، انسحبت عن النافذة وأغلقت بابي بهدوء تحسباً لكل الاحتمالات. لم يتركا أي تأثير علي إطلاقا أن أراهما معا؛ هززت كتفي. التقيت بهما في أحد المساءات في الطريق، وسلمنا على بعضنا، سمحت للبارون أن يسلم أوّلاً ورفعت بعض الأصابع إلى طاقيتي لأكون غير مهذب. تجاوزتهما بهدوء ونظرت إليهما أثناء ذلك بلا اهتمام.

ومرّ يوم آخر.

كم مرّت من الأيّام الطويلة الآن! سيطر عليّ مزاج مكبوت، وتأمل قلبي بعجز الأشياء، حتى هذه الصخرة الرمادية الودودة قرب كوخي وقفت، أثناء اجتيازي لها، كتعبير عن المعاناة واليأس. كان الجو يتهيأ للمطر، كانت الحرارة حقيقة تمور أمامي، حيثما توجهت؛ كنت أعاني من الروماتيزم في قدمي اليسرى، وقد رأيت أحد خيول السيد ماك ينفض نفسه في حبل العربة(23) في الصباح؛

كل ذلك كان له معنى بالنسبة لي. من الأفضل تجهيز المنزل بالطعام، بينما يكون الجو طيباً، فكرت.

ربطت إيسوب، أخذت أدوات صيد السمك وبندقيتي ونزلت إلى رصيف الميناء. كنت مهموماً بشكل غير معتاد.

ــ متى يأتي البريد؟ سألت أحد صيادي السمك.

ــ البريد؟ يأتي بعد ثلاثة أسابيع، أجاب.

انتظرت بدلتي. قلت.

بعد ذلك التقيت بمستخدم السيد ماك، صافحته وقلت:

«قل بحق المسيح، ألم تعودوا تلعبون الورق(24) في سيريلوند؟».

ــ نعم، في أغلب الأوقات، أجاب.

فاصل صمت.

لم أستطع أن أكون معكم في الفترة الاخيرة، قلت.

جذفتُ إلى مكان صيدي. أصبح الجو محبطاً، وتجمع البعوض في أسراب. وكان عليّ أن أدخن طيلة الوقت لإنقاذ نفسي. علق سمك الحدوق(25) سحبت بقوة، حصلت على صيد جيد. في طريقي إلى البيت أطلقت النار على طائرين من طيور الألك.(26) عندما وصلت رصيف الميناء، وقف الحداد هناك. كان في العمل. خطرت على بالي فكرة، فسألته:

«أترافقني إلى البيت؟».

ــ لا، أجاب، أعطاني السيد ماك عملاً حتى منتصف الليل.

أومأت برأسي وقلت لنفسي، إنه أمر جيد.

أخذت صيدي معي وذهبت، وجعلت طريقي حول بيت الحداد. كانت إيفا وحيدة في البيت.

اشتقت إليك من كل قلبي، قلت لها. وتأثرت برؤيتك، وبالكاد كانت تستطيع رؤيتي من الدهشة. أنا أحب شبابك وعينيك الجميلتين، قلت. عاقبيني حالاً اليوم، لأنني فكرت بأخرى أكثر منك. اسمعي، جئت لرؤيتك فحسب، أنت تجعلينني سعيداً، أن أحبك. هل سمعت أنني ناديت عليك في الليل؟

ـ لا، أجابت مرعوبة.

«ناديت على إدفاردا، يا آنسة إدفاردا، لكنني قصدتك. لقد استيقظت بسبب ذلك. نعم، لقد عنيتُك، كنت معذوراً، كانت زلة لسان، عندما قلت إدفاردا. لكن دعينا من الحديث أكثر عنها. يا الهي، كم أنت عزيزة علي، يا إيفا! لديك فم أحمر جداً اليوم. ولديك قدمان جميلتان أكثر جمالاً من قدمي إدفاردا، انظري بنفسك». رفعتُ تنورتها وأظهرت لها ساقيها.

غطت وجهها فرحة، التي لم أرَ مثيلها أبداً حتى الآن عندها؛ أرادت أن تبتعد، لكنها غيرت رأيها وطوقت عنقي بإحدى ذراعيها.

مر وقت. وكنا نتحدث معاً، نجلس على أريكة طويلة كل الوقت ونحكي لبعضنا عن أشياء كثيرة. قلت:

«هل تصدقين، أن الانسة إدفاردا لم تتعلم كيف تتكلم حتى الآن، إنها تتكلم كطفل، فتقول (أكثر أسعد)(27)، لقد سمعت هذا بنفسي. هل تعتقدين أن لها جبين جميل؟ أنا لا اعتقد ذلك. أن لديها جبين شيطاني. وهي لا تغسل يديها أيضاً».

«ألم يتوجب علينا أن لا نتحدث عنها أكثر؟ صحيح، لقد نسيت فحسب هذا».

ويمر وقت آخر ثانية. أفكّر بشيء، لكنني أصمت.

«لماذا تصبح عيناك مبللتين؟»، سألت إيفا.

«بالمناسبة، أن لها جبين جميل، قلت، ويداها نظيفتان دائماً. كانت مجرد مصادفة، أنهما كانتا وسختين ذات مرة. لم أقصد أن أقول خلاف ذلك. ــ لكنني أواصل الآن غاضباً وأنا أصرّ على أسناني. أجلس وأفكّر بك باستمرار، يا إيفا؛ لكن يبدو لي، أنك ربما لم تسمعي ما أريد أن أقوله لك الآن. المرة الاولى التي رأت إدفاردا فيها إيسوب، قالت: إن إيسوب، كان بالتأكيد رجلاً حكيماً، وكان من فريجيا. أليست هذه حماقة؟ كانت قد قرأت هذا في كتاب في نفس اليوم، وأنا متأكد منه». «نعم»، قالت ايفا، «لكن ثم ماذا؟».

«بقدر ما أتذكّر تحدثت أيضاً عن أن إيسوب كان معلمه زانثوس. ها ها ها».

«حقاً».

«ما هذا بحق الشيطان أن تقول لجماعة الآن، أن إيسوب كان معلمه زانثوس؟ أنا أسأل فحسب. أخ، أنت لست واضحة اليوم، يا ايفا، وإلاّ لكنت تمرضين من الضحك على هذا».

«حسناً، أنا أعتقد كذلك، إنه أمر مضحك»، تقول إيفا، وتبدأ بالضحك بإجهاد وحيرة.

«لكنني لم أفهم هذا بصورة جيدة، كما أنت».

أصمت وأفكّر، أصمت وأفكّر.

«هل تريد أن نجلس صامتين ولا نقول شيئاً؟»، تقول إيفا بخفوت. كانت الطيبة تشع من عينيها، وراحت تمسد شعري بيدها.

«أنت طيبة، يا نفس طيبة!»، أصرخ فجأة وأسحبها بقوة إليّ. أنا متأكد، أنني أموت من الحب لك، وأحبك أكثر وأكثر، وستبقين معي في النهاية، عندما أسافر. سترين فحسب. هل يمكنك أن ترافقيني؟».

«نعم»، تجيب.

بالكاد أسمع هذه النعم، لكنني شعرت بها من أنفاسها، ألاحظ هذا عليها، يحتضن أحدنا الآخر باندفاع، وهي تتخلى عن نفسها بلا شعور.

بعد مرور ساعة أقبّل إيفا قبلة الوداع وأمضي. التقي بالسيد ماك في الباب.

السيد ماك ذاته.

ينتقل إلى الغرفة ويحدق فيها، ويبقى هناك واقفاً على عتبة الباب ويحدق. «حسناً!»، يقول ولم يستطع أن يقول المزيد، كما لو أنه أصيب بالخرس.

«لم تكن قد توقعت أن تجدني هنا؟»، قلتُ وحييته.

لم تتحرك إيفا.

تمالك السيد ماك نفسه، غمرته ثقة غير عادية، ويجيب:

«أنت مخطئ، إنه أنت بالذات، الذي أبحث عنه. أودّ أن أجلب انتباهك إلى أنه منذ تاريخ الأول من نيسان وحتى الخامس عشر من آب ممنوع أن ترمي طلقة ضمن مسافة ثُمن الميل عن أعشاش البيض والأفراخ. كنتَ قد اصطدت طائرين اليوم في الجزيرة، هناك أشخاص شاهدوك».

«لقد أطلقتُ النار على اثنين من طيور الألكا، قلت منكسراً. وقد بدا لي في الحال، أن الرجل كان على حق».

«طائران من الألكا أو اثنان من البط(28)، نفس الأمر، كنتَ ضمن منطقة محرّمة».

«أعترفُ بهذا»، قلت. «لم يكن يخطر ببالي هذا قبل الآن».

«لكن كان ينبغي أن يخطر هذا على بالك قبل الآن».

«كنت أطلقت النار مرتين في جولتي في شهر أيار أيضاً بنفس المكان تقريباً. كان ذلك في نزهة إلى الجزيرة، وحدث هذا بناء على طلبكم».

«هذه قضية أخرى». قال السيد ماك باختصار.

«لكن بحق الشيطان، إذن، أنت تعرف بالطبع، ماذا عليك أن تفعل؟».

«بالتأكيد تماماً»، أجاب.

بقيت إيفا على استعداد؛ وعندما خرجتُ، لحقت بي، كانت ترتدي وشاحاً، وابتعدت عن المنزل، رأيتها تسلك الطريق إلى رصيف الميناء. أما السيد ماك فقد سار إلى بيته.

فكرت حول هذا. أيّة مرونة في أن تجد مخرجاً! حيث كانت عيناه مركزتين. طلقة، طلقتان، بعض طيور الألكا، غرامة، ثم الدفع. وهكذا كان كل شيء، تم حساب كل شيء مع السيد ماك وبيته. كل شيء سار في الحقيقة بشكل جميل وسريع....

بدأت تمطر بقطرات كبيرة وناعمة. وراحت الطيور القواطع تطير على الأرض، وعندما وصلت إلى البيت وأطلقت إيسوب، راح يأكل العشب. وراحت الريح تولول.

## XXIII

على بعد ميل في الأسفل تحتي أرى البحر. المطر يهطل، وأنا موجود في الجبل، وجدار الجبل يحميني من المطر. دخنت غليوني، ودخنت غليوناً بعد الآخر، وفي كل مرة أشعل، يصعد التبغ من الرماد إلى الأعلى مثل دود صغير متوقد. وعلى هذا النحو تتزاحم الأفكار في رأسي. أمامي في الحقل تمكث حزمة أغصان يابسة لعش طائر مدمر. وكما هو عش الطائر هذا، كذلك هي روحي.

أتذكّر أصغر تفاهة من هذا الأمر ومن وقائع اليوم التالي. هَو ــ هَو، كم عوملت بشكل سيّئ....

أجلس هنا في الجبل، والبحر والهواء يولولان. إنها تشتكي وتنحب بشكل رهيب في أذني من الريح والطقس. يبدو الصيادون واليخوت هناك بعيداً بأشرعة مطوية، ثمة بشر على ظهرها، إنها ستبحر بالتأكيد إلى مكان ما، والله يعلم، إلى أين تذهب كل هذه الأرواح، أفكّر. يرتفع البحر في الهواء مزبداً، يهدر ويهدر، كما لو أنه مسكون بهيئات كبيرة غاضبة، التي تضرب بأطرافها وتزعق ضد بعضها، لا، إنه حفل وسط ألف من العفاريت المولولة، التي تضع رؤوسها على أكتافها وتدور في حلقة، وتسوط البحر أبيض بأطراف الأجنحة. وعلى مدى بعيد، بعيد ثمة ضوء باهر، ومن ذلك الضوء الباهر يرتفع حوري بحر أبيض ويهزّ رأسه إلى شراع رباعي ممزق يستعجل إلى البحر أمام الريح، هَوْ ــ هَوْ، إلى البحر، إلى مدى بعيد في البحر المقفر.

أنا سعيد لأنني وحيد، ولا أحد يستطيع أن يرى عيني، استندت بثقة إلى جدار الصخرة وأعرف، أنه ليس بوسع أحد أن يقف ويراقبني من الخلف. طائر يحوم فوق الجبل بصرخة متكسرة، تنفصل قطعة من الصخرة في نفس اللحظة وتتدحرج إلى الأسفل نحو البحر. أبقى جالساً هناك لفترة طويلة بهدوء، وأغفو، ويرتعش شعور دافئ من الراحة في داخلي، لأنني أستطيع الجلوس بأمان في المخبأ، بينما يستمر المطر بالهطول في الخارج. زرّرت كنزتي الصوفية وشكرت الله على كنزتي الدافئة. مرّ وقت آخر. ونمت.

إنه العصر، أذهب إلى البيت، لا تزال تمطر. عند ذاك يواجهني شيء غير طبيعي، إدفاردا تقف في الدرب. كانت مبللة، كما لو أنها كانت في المطر لفترة طويلة، لكنها تبتسم. أوه! أفكّر على الفور، يداهمني سخط، أضغط بأصابع غاضبة على بندقيتي، وأتوجه إليها على هذا النحو، جميل أنها تبتسم.

«نهارك سعيد»، تنادي هي أولاً.

أنتظرُ حتى أقترب بضع خطوات منها، وأقول:

«أحييك، أيتها الآنسة الجميلة!».

تندهش من مزاحي. للأسف، لم أكن أعرف، ماذا قلت. تبتسم بخوف وتنظر اليّ:

«هل أنت موجود مصادفة اليوم؟»، تسأل. «بحيث أنك أصبحت مبللاً. لدي وشاح هنا، فإذا أردت أن تضعه حولك، هو زائد عندي... لا، مرة أخرى، أنت لا تعرفني». تطرق بعينيها وتهز رأسها.

«وشاح؟»، أجبتُ، وأنا أضحك من الغضب والذهول. «لكن لدي كنزة هنا، هل تريدين استعارتها؟ هي إضافية، كنت أودّ أن أعيرها لأيّ كان، ولهذا يمكنك بكل اطمئنان أخذها. يجب على زوجة صياد السمك أن تستعيرها بسرور».

رأيت أنها كانت متشوقة، لما أردت قوله، أصغت إلى درجة متوقعة، أنها أصبحت قبيحة ونسيت أن تبقي فمها مطبقاً. إنها تقف هناك مع الوشاح بيدها، إنه وشاح حرير أبيض، نزعته من عنقها. نزعت أنا كنزتي أيضاً.

«بحق الله، البسه مرة أخرى!»، تصرخ. «لا تفعل هذا. هل أنت غاضب جداً مني؟ لا، يا إلهي، ارتدِ الكنزة مجدداً، قبل أن تنقع». أعدت الكنزة ثانية.

«إلى أين أنت ذاهبة؟»، سألت بغباء.

«ليس إلى أي مكان.... لا أفهم، أن بوسعك نزع الكنزة....».

«أين تركت البارون اليوم؟»، سألت مواصلاً، «في هذا الطقس حتى الكونت طبعاً لا يكون في البحر».

«غلان، أردت فقط أن أخبرك شيئاً...».

أقاطعها:

«هل أجرؤ أن أحملك تحياتي إلى حضرة الدوق».

تبادلنا النظرات. أقف جاهزاً لأواجهها بمقاطعات عديدة، أن هي فتحت فمها. وأخيراً يرتسم تعبيرٌ مؤلم على وجهها، أشيح بوجهي بعيداً وأقول: «بصراحة، اصرفي هذا الأمير(29)، يا آنسة إدفاردا. إنه ليس رجلاً لك. أؤكد لك أنه في هذه الأيّام يذهب ويفكر، فيما أنه سيجعلك زوجة له أم لا، وأنت لا تستحقين هذا».

«لا، لا نريد أن نتحدث حول هذا؛ أليس كذلك؟ غلان، لقد فكرت بك، بإمكانك أن تخلع كنزتك وأن تغدو نافعاً من أجل آخر، وأجيء إليك...».

هززت كتفي وواصلت:

«أقترح عليك الطبيب بديلاً عن ذلك. ماذا لديك لتعيبي عليه؟ رجل في أفضل سنوات عمره، وعقل رائع. فكري في الأمر».

«اسمعني دقيقة واحدة لا غير....».

«كلبي إيسوب ينتظرني في الكوخ». رفعت قبعتي وسلمت عليها وقلت مجدداً: «أحييك، أيتها الآنسة الجميلة».

وبذلك بدأت بالذهاب.

أطلقت صرخة:

«لا، لا تنزع قلبي مني. جئت إليك اليوم، مررت عليك، وهنا ابتسمت عندما جئت. أمس كنت على وشك الجنون، لأنني فكرت بأمر طوال الوقت، كان يدور حولي، وكنت أفكّر بك دائماً. كنت أجلس اليوم في الغرفة، دخل إنسان، ولم أرفع نظري، لكنني كنت أعرف، من هو الذي جاء. لقد جذّفت بالأمس نصف ربع الميل، قال هو. ألم تتعبي؟ سألتُ. للأسف، نعم، متعبة للغاية؛ وظهرت فقاقيع في يدي، قال ذلك، وكان حزيناً بسبب ذلك. فكرت: لاحظ، أنه الآن هو حزين على ذلك! بعد برهة قال: سمعت في الليل همساً خارج نافذتي، كانت إحدى مربيات بيتك وأحد مستخدمي مخزن السفن في حوار حميم. نعم، سيتزوجان، قلتُ. نعم، لكن ذلك كان في الساعة الثانية صباحاً! ثم ماذا؟ سألتُ، وقلت بعد قليل: الليل خاص بهما. عندها رفع نظارته الذهبية فوق أنفه ولاحظ: لكن ألا ترين، أن هذا غير صحيح، في منتصف الليل، لا يبدو الأمر جيداً؟ ما زلت لم أرفع نظري، وبقينا على هذا النحو جالسين لعشر دقائق. هل لي أن أحضر لك شالاً لتضعيه على كتفيك؟ سأل. لا، شكراً. أجبتُ. هذا الذي يجرؤ لأخذ يدك الصغيرة! قال. لم أجب، كانت أفكاري في مكان آخر. وضع علبة صغيرة في حضني، فتحت العلبة ووجدت دبوساً فيها، كان للدبوس تاجٌ، وعددت عشر حصى فيه... يا غلان، الدبوس عندي هنا، هل تريد أن تراه؟ إنه مكسور؛ تعال فقط ولاحظ، إنه مكسور... حسناً جداً، وماذا سأفعل بهذا الدبوس؟ سألتُ. زيّني نفسك به، أجاب. لكنني أعدت الدبوس إليه وقلت: اتركني، أنا أفكّر أكثر بشخص آخر. أي آخر؟ سألَ. صياد، أجبتُ؛ لقد أعطاني محض ريشتين جميلتين للذكرى؛ لكن خذ دبوسك ثانية. نظرت إليه لأول مرة، كانت عيناه ثاقبتين. لا أسترجع الدبوس، افعلي به ما تريدين، دوسي عليه، قال. نهضتُ، وضعت الدبوس تحت كعب قدمي ودست عليه. كان هذا في الصباح... مشيت لأربع ساعات وانتظرت؛ بعد الظهر خرجت. قابلني في الطريق. إلى أين أنت ذاهبة؟ سأل. إلى غلان، أجبت؛ أريد أن أطلب منه أن لا ينساني... ومنذ الساعة الواحدة انتظرت هنا، وقفت إلى

جانب شجرة ورأيتك قادماً، كنتَ كإله. أحب شكلك، لحيتك وكتفيك، كل شيء لديك أحبه... الآن أنت لست صبوراً، تريد أن تذهب، فاذهب، فأنا لست مهتمة بك، أن لا تنظر إليّ...».

كنت قد توقفت. وعندما سكتت، بدأت مجدداً بالمسير. كنت منهكاً من اليأس وابتسمت، كان قلبي قاسياً.

«هذا صحيح»، قلت وتوقفت ثانية. «هل تريدين أن تقولي لي شيئاً؟».

هذه المزحة جعلتها تعبة مني:

«هل أردت أن أقول شيئاً؟ نعم، لكنني قلت شيئاً؛ ألم تسمعه؟ كلا، لا شيء، لا شيء لم يعد عندي شيء أقوله لك...».

يرتعش صوتها بشكل غريب، لكن ذلك لم يؤثر بي.

## XXIV

في صباح اليوم التالي كانت إدفاردا واقفة خارج الكوخ، لحظة خروجي منه.

كنت قد تأمّلت أثناء الليل في كل شيء واتخذت قراري. كلا، لماذا انبغى علي أن أصاب بالعمى منذ فترة طويلة من هذه الإنسانة النزقة، فتاة متصيدة، رأس غير متعلم؛ لو لم يكن اسمها مقيماً في قلبي لفترة كافية وامتصه؟ يكفي حول هذا. وإلاّ فقد خطر لي، أنني ربما اقتربت منها تحديداً من خلال إظهاري اللامبالاة لها والسخرية بها. آه، كم سخرت منها بشغف: بعد أن ألقت كلمة بعدة دقائق، أقول بهدوء: كان هذا صحيحاً، تريدين أن تقولي لي بالتأكيد شيئاً.....

وقفت عند الصخرة. كانت في أقصى الهياج وأرادت ملاقاتي، وأفردت ذراعيها مسبقاً، لكنها بقيت واقفة وعقدت يديها. أخذت قبعتي وحييتها بصمت.

«اليوم، الشيء الوحيد الذي أريده منك، يا غلان»، قالت بإصرار. ولم أتحرك لكي أسمع فحسب ما كانت تريد قوله. «لقد سمعت أنك كنت عند الحداد. كان مساء. وكانت إيفا وحدها في البيت».

انتفضت وأجبت:

«من هو الذي زودك بهذا الخبر؟».

«انا لا أتجسس»، صَرخَت؛ «سمعت هذا ليلة امسِ، أبي أخبرني هذا. عندما وصلت ليلةَ أمسِ مبللة للغاية إلى البيت، قال أبي: أنت أهنتِ اليوم البارون. كلا، أجبتُ. أين كنتِ الآن؟ سأل مستمراً. أجبتُ: عند غلان. عندها أخبرني أبي هذا».

إنني أكافح يأسي وأقول:

«إيفا كانت رغم ذلك هنا».

«هل كانت هنا أيضاً؟ في الكوخ؟».

«عدّة مرات. تمتعت معها في الداخل. وتحدثنا معاً؟».

«هنا أيضاً!».

فاصل صمت. تمالك نفسك! أفكّر وأقول:

«ما دمت أنك محبوبة جداً لتتدخلي في أموري، فلن أقف متردداً. اقترحت عليك أمس الطبيبَ؛ هل فكرت حول هذا؟ الأمير في الواقع مستحيل».

يشتعل غضب في عينيها.

«هل تعرف، هو ليس مستحيلاً!»، تقول بقوة.

«لا، إنه أفضل منك، إنه يستطيع أن يكون في بيت دون أن يحطم الأكواب والكؤوس، ويمكن أن يكون حذائي في سلام منه. نعم. هو يعرف كيف يختلط مع الناس، بينما أنت مضحك، أشعر بالعار منك، أنت لا تطاق، أتفهم هذا!».

أصابتني كلماتها بصورة عميقة، أحنيت راسي وأجبت:

«أنتِ على حق، بأنني لم أعد استطع التعامل مع الناس. كوني رحيمة؛ أنت لا تفهمينني، أفضّل أن أعيش في الغابة، إنها سعادتي. هنا في عزلتي لا أؤذي أحداً، وأكون أنا كما أنا؛ لكن عندما أكون مع الآخرين، فينبغي أن أستخدم كل ما لدي من اجتهاد لكي أكون كما ينبغي لي. وكنت قليلاً جداً في صحبة الناس خلال عامين....».

«يمكن للإنسان أن يتوقع في كل لحظةٍ الأسوأ منهم»، واصلت. «وعلى المدى الطويل تصبح متعباً من الاعتناء بهم».

كم هو قاس ما قالته! تجتاحني آلام لاذعة جداً، وكدت أسقط إلى الخلف بسبب هياجها. لم تتوقف إدفاردا حتى الآن، وأضافت: «ربما يمكنك أن تجعل إيفا تعتني بك. لكن هذا أذى، فهي متزوجة».

«إيفا؟ تقولين، أن إيفا متزوجة؟»، سألتُ.

«نعم، متزوجة؟».

«متزوجة بمن؟».

«عليك أن تعرف بالطبع، إيفا متزوجة من الحداد».

«أليست هي ابنة الحداد؟».

«كلا، انها زوجته. هل تعتقد، انني اقف هنا وأكذب».

لم أصدق أي شيء حول ذلك، دهشتي صارت كبيرة للغاية. بقيت واقفاً هناك وفكرت: هل إيفا متزوجة؟».

«ولهذا فإنك قمت باختيار محظوظ»، تقول إدفاردا.

حسناً، ولن يصل الأمر إلى أية نهاية! بدأت أرتجف من الاستياء، وقلت:

«لكن خذي الآن الطبيب، كما أقول. خذيها نصيحة من صديق؛ أميرك هو في الحقيقة أحمق نصف عجوز. وأنا كذبت عنه في غضبي، وبالغت بعمره، وقلت، إنه كان أصلعَ، وكان تقريباً شبه أعمى؛ وزعمت أيضاً، أنه حمل التاج في أزرار قميصه لغرض واحد لكي يتفاخر بأصله النبيل. وأنا بالمناسبة لم أرغب التعرف عليه ». قلت. «لا شيء فيه، يميز بشيء ما، تنقصه الخطوط الرئيسية، إنه لا شيء».

«لكنه شيء ما، إنه شيء ما». صرخت، وتحشرج صوتها من الغضب. «إنه أكثر مما تعتقد، يا إنسان الغابة. بل انتظر فحسب، أوه، إنه يريد أن يتحدث معك، وسأطلب منه هذا. أنت لا تصدق لأنني أحبه، لكنك سترى، إنك على خطأ؛ أريد أن أتزوج منه، وسأفكّر به ليل نهار. تذكر، أنني أقول: أنا أحبه. دع إيفا تأتي فحسب، ها ها، يا إلهي في السماء، دعها فقط تأتي، أنا لا يهمني بشكل لا يوصف. بلى، علي أن أبتعد من هنا...». بدأت تقطع الدرب نحو الكوخ، قامت ببعض الخطوات القصيرة المتحمسة، التفتت مرة أخرى شاحبة الوجه وتذمرت: «لم تعد تظهر أمام عيني أبداً ».

## XXV

اصفّرت أوراق الأشجار، وطالت سيقان البطاطا، وأزهرت، حلّ موسم الصيد ثانية، اصطدت قبّرات وديوكاً جبلية وأرانب، واصطدت ذات يوم نسراً. سماء

عالية وصافية، ليالي طريّة، أصداء واضحة عديدة وأصوات عزيزة في الغابة والحقول. وعالم يخلد إلى السكون كبير ومسالم...

«لم أسمع أكثر من السيد ماك فيما يتعلق بطائري الألكا، اللذين اصطدتهما»، قلت للطبيب.

«عليك أن تشكر إدفاردا على ذلك»، أجاب. «أنا أعرف، وسمعت، أنها تعارض هذا».

«لن أشكرها»، قلت...

صيف هندي، صيف هندي. الدروب تمتد كأحزمة عبر الغابة الذهبية، وكل يوم تطل نجمة جديدة، ويبدو القمر كظل، ظل من الذهب مغموس بالفضة...

«الله يعينك، أنت متزوجة طبعاً، يا إيفا؟».

«ألم تعرف هذا؟».

«كلا، لم أعرف هذا».

عصرت بصمت يدي.

«فليُعِنك الله، يا طفلة، ماذا سنفعل الآن؟».

«ما تريد. لعلك غير مسافر الآن، سأكون سعيدة، طالما أنت هنا!».

«كلا، يا إيفا».

«نعم، نعم، فقط طالما أنت هنا!».

تبدو في حالة عزلة وتعصر طوال الوقت يدي.

«كلا، يا إيفا، اذهبي! أبداً بعد اليوم!».

وتمضي ليالٍ، وتأتي نهارات؛ وقد كان اليوم هو الثالث، منذ تلك المحادثة. تسير إيفا على الطريق مع حمل. ما مقدار الحطب الذي حملته هذه الطفلة إلى البيت من الغابة في الصيف!

«ضعي الحمل، يا إيفا! ودعيني أرى ما إذا كانت عيناك زرقاوين بالتساوي».

كانت عيناها حمراوين.

«لا، ابتسمي ثانية، يا إيفا! لم أعد أقاومك، أنا لك، أنا لك....».

إنه المساء. إيفا تغني، أسمع أغنيتها، وتجتاحني فورة حمى.

«أنت تغنين المساء، يا إيفا؟».

«نعم، أنا سعيدة».

ولما أنها أقصر مني، تقفز قليلاً إلى الأعلى لكي تطوق عنقي.

«لكن، يا إيفا، يداك ممزقتان؟ يا إلهي، ليتك لم تمزقيهما!».

«لا يهم».

يشرق وجهها بصورة رائعة أيضاً.

«إيفا، هل تحدثت مع السيد ماك؟».

«مرة واحدة ».

«ماذا قال؟، وماذا قلتِ؟».

«لقد أصبح قاسياً للغاية ضدنا، ويشغّل زوجي ليل نهار في الميناء، وهو يضعني أيضاً في كل أنواع العمل. وطلب مني القيام بأعمال الرجال».

«لماذا يقوم بهذا؟».

تنظر إيفا إلى الأسفل.

«لماذا يقوم بهذا، يا إيفا؟».

«لأنني أحبك».

«لكن كيف أمكنه أن يعرف هذا؟».

«لقد أخبرته بذلك».

فاصل صمت.

«الله يسهل، إنه لم يكن قاسياً معك، يا إيفا!».

«لكن هذا لا يهم، لا يفعل أي شيء الآن!».

ومثل أغنية مرتعشة قليلاً تردّد صوتها في الغابة.

واصفرت أوراق الشجر أكثر من السابق، فهي تعاني من الخريف، وظهرت نجوم أكثر في السماء، والقمر يبدو من الآن فصاعداً كظلال من الفضة، الذي تم غمسه بالذهب. لم يكن هناك أي برد، لا شيء، مجرد صمت رطب وحياة متدفقة في الغابة. وكانت كل شجرة منتصبة وتفكر. وكانت الثمار البرية ناضجة.

ثم حلّ الثاني والعشرون من آب والليالي الحديدية الثلاث. (30)

# XXVI

أوّل ليلية حديدية.

تغرب الشمس في الساعة التاسعة. هناك ظلام دامس على الأرض، ونرى بضع نجوم، وبعد ساعتين تظهر قطعة من القمر. أمشي إلى الغابة مع بندقيتي وكلبي، أشعل ناراً، والنور من ناري يسطع بين جذوع الصنوبر. لا يوجد أي جليد.

هذه أوّل ليلة حديدية! أقول. وفرحة شديدة مربكة بالمكان والزمان تهزني بغرابة...

نخبكم، أيها الناس والحيوانات والطيور، لهذه الليلة العزلاء في الغابة، في الغابة! نخب للظلام وغمغمة الله بين الأشجار، لحلاوة الصمت، انسجام لطيف في الأذن، للأوراق الخضر والأوراق الصفر! نخب لصوت الحياة أسمعها، أنف يتنشق العشب، كلب يتشمم الأرض! نخب عاصف للقط البري، الذي يربض ويهدف للقفز على عصفور في الظلام، في الظلام! نخب للسكون الرحيم على مملكة الأرض، للنجوم وللهلال، نعم، لها ولهم....

أنهض وأستمع. لم يسمعني أحد. فأجلس ثانية.

شكراً لليل الاعزل، للجبال، للظلام وهدير البحر، إنها تهدر في قلبي! شكراً لحياتي، لأنفاسي، لنعمة العيش في هذه الليلة، أشكرها من كل قلبي! أسمع من الشرق ومن الغرب، لا، أسمع! إنه هذا الإله الخالد! هذا السكون الذي يغمغم في أذني، هو دم كل الطبيعة، الذي يفور، الله، الذي ينسج وشيجة بيني وبين العالم. أرى خيط عنكبوت ناعم يلمع على ضوء لهيب ناري، أسمع زورقاً مجذفاً في البحر، ونور قطبي ينزلق من السماء في الشمال. أوه، وبروحي الخالدة، أشكر جداً أيضاً، لأنني أنا، من يجلس هنا!...

سكون. ثمرة صنوبر تسقط على الأرض بصوت مكتوم. سقطت ثمرة صنوبر، أفكّر. القمر عالياً في السماء، والنار تضطرب فوق الحطب نصف المحترق ويكاد ينطفئ. وفي هذا الوقت المتأخر من الليل أمضي إلى البيت.

الليلة الحديدية الثانية، نفس الهدوء، والطقس المعتدل. روحي تتأمل. أتوجّه بصورة آلية نحو شجرة، أسحب طاقيتي إلى الأسفل على جبهتي وأسند ظهري على هذه الشجرة، ويداي معقودتان خلف رقبتي. أحدق وأفكّر؛ اللهيب من ناري يبهر عيني، لكنني لا أشعر بها. ألبث في هذا الموقف غير المجدي لفترة من الوقت وأنظر إلى النار؛ في البدء تضعف ساقاي وتصبحان متعبتين، أجلس متصلباً تماماً. الآن فقط أفكّر في ما قمت به. لماذا، إذن، أحدق في النار لفترة طويلة».

يرفع إيسوب رأسه ويصغي، إنه يسمع خطى أقدام، تظهر إيفا.

«أنا غارق جداً في تفكيري في هذا المساء وأشعر بالأسى». أقول. وهي لتعاطفها لم تجب بأي شيء.

«أحب ثلاثة أشياء»، أقول لذلك. «أحب حلم الحب، الذي أحببته ذات مرة، وأنا أحبك، وأحب هذه البقعة من الأرض».

«ما هي أكثر الأشياء تحبين؟».

«الحلم».

خيم الصمت ثانية. إيسوب يعرف إيفا، لذا يضع رأسه جانباً وينظر إليها. أغمغم:

«رأيتُ فتاة في الطريق اليومَ، كانت تمشي ذراعاً بذراع مع حبيبها. غمزت لي بعينيها وواجهت صعوبة في حمل نفسها من الضحك، عندما مررت».

«على ماذا كانت تضحك؟».

«لا أعرف. كانت تضحك بالتأكيد مني. لماذا تسألين عن هذا؟».

«هل كنت تعرفها؟».

«نعم، أنا سلمت عليها».

«وهي ألم تعرفك؟».

«لا.... لكن لماذا تجلسين وتحققين معي؟ هذه قباحة منك. لن تجعليني أبوح باسمها».

فاصل صمت.

أغمغم ثانية.

«ما الذي ضحكت عليه؟». إنها متسكعة؛ لكن ماذا كان يضحكها؟ بحق يسوع المسيح، ما الذي فعلته حقا لها؟».

تجيب إيفا:

«كانت حماقة منها أن تضحك منك...».

«كلا، لم تكن حماقة منها!»، أصرخ. «عليك أن لا تجلسي هنا وتلوميها، إنها لم تقم بأية حماقة، كان صحيحاً منها أن تضحك مني. اسكتي بحق الشيطان، ودعيني بسلام، أتسمعين!».

وتتركني إيفا مرعوبة لحالي. أنظر إليها وأشعر بنفس الوقت بالأسف على كلامي القاسي، أجثو أماماً وأفرد يدي.

«اذهبي إلى البيت، يا إيفا. إنه أنت، من أحبّ أكثر؛ كيف لي أن أحب حلماً؟ كانت هذه مجرد مزحة، إنه أنت، الذي أحب. لكن اذهبي الآن إلى البيت، سآتي إليك غداً؛ تذكري، أنني لك، نعم، لا تنسي هذا. وليلة سعيدة».

وتذهب إيفا إلى البيت.

الليلة الحديدية الثالثة، هي ليلة في أقصى التوتر. حتى أنه كان هناك القليل من الصقيع! وبدلاً عن الصقيع حرارة راكدة بعد شمس النهار، كان الليل كبركة دافئة. أشعلت ناري....

«يا إيفا، يمكن أن تكون بعض المتعة أحياناً في أن تكون مسحوباً بالشعر. يمكن أن يُجر الإنسان من الشعر إلى أسفل الوادي وإلى أعلى الجبل، وإذا سأل أحد، ماذا يجري، فيمكن الإجابة، بسعادة مطلقة: أنا مسحوب من شعري! وإذا سُئل: لكن هل يمكنك أن تتحمل ذلك؟ (يكون الجواب)؛ لأنني أحب هذه اليد التي تجرني... هل تعرفين، يا إيفا، ما هو الأمل؟».

«نعم، أظن هذا».

«هل ترين، يا إيفا، أن الأمل، هو أمر غريب، بل أمر عجيب. يمكن للمرء أن يذهب في طريق ويأمل أن يلتقي بهذا الطريق إنساناً، عزيزاً عليه. وهل يلتقي المرء هذا الإنسان؟ كلا. لماذا لا؟ لأن الإنسان مشغول هذا الصباح وهو في أماكن أخرى تماماً.... لقد تعرفت مصادفة على لابوني(31) عجوز أعمى. لم يرَ طوال ثمانية وخمسين عاماً أي شيء، وهو الآن فوق السبعين. لقد بدا له، أنه كان يرى أفضل وأفضل مع مرور الوقت، واستمر الأمر بشكل منتظم، كما حَسبَ، واذا لم يحدث طارئ، فبوسعه أن يقدر رؤية الشمس من جديد خلال سنوات. كان لا يزال لديه شعر أسود، لكن كانت عيناه بيضاوين تماماً. عندما جلسنا معاً في كوخه ودخّنا، أخبرني عن كل شيء، كان قد رآه، قبل أن يصبح أعمى. كان خشناً ومعافى، بلا مشاعر، لا يكلّ، وقد حافظ على أمله.

عندما أردت أن أذهب، رافقني إلى خارج كوخه وراح يشير باتجاهات مختلفة. هذا هو الجنوب، قال، وهذا هو الشمال. الآن أنت تذهب أوّلاً في هذا الاتجاه، وعندما تقطع بعض الطريق وتصل إلى الجبل، تستدير نحو ذلك الاتجاه، قال. صحيح تماماً! أجبت. وضحك اللابوني راضياً وقال: انظر، لم أكن أعرف من قبل أربعين، أو خمسين عاماً، وعليه فإنني أرى أفضل الآن من ذلك الوقت، ولا يزال في تقدم مستمر. ثم انحنى ودخل كوخه ثانية، هذا الكوخيّ الأبدي، بيته على الأرض. وجلس أمام النار كما من قبل، مليئاً بالأمل في أنه في غضون سنوات قليلة ربما يستطيع أن يلمح الشمس.... يا إيفا، إنه أمر غريب، الأمل. أنا على سبيل المثال أذهب الآن وآمل أن أنسى الإنسان، الذي لم أقابله في الطريق هذا الصباح».

«أنت تتكلم بطريقة غريبة للغاية».

إنها الليلة الحديدية الثالثة. وأعدك، يا إيفا، أن أصبح رجلاً مختلفاً غداً. دعيني لوحدي الآن. عليك أن لا تعرفيني ثانية غداً، عندما أجيء، سأضحك وأقبلك، يا فتاتي الجميلة. فكري، أن هذه الليلة فقط باقية لدي، فأصبح رجلاً آخرَ، بعد ساعات قليلة أكون هذا. ليلة سعيدة، يا إيفا».

«ليلة سعيدة».

أتمدد على مقربة من ناري وأتطلع إلى اللهب. تسقط من فراشة، كما أن هناك غصناً آخر أيضاً، والليل عميق. أغلق عيني.

بعد ساعة تبدأ حواسي تتأرجح في الداخل وفق إيقاع محدد، وأنا أتمايل معها في هذا الهدوء الكبير. أنظر إلى الهلال يشبه صدفة بيضاء، ولدي مشاعر حب له، وأشعر أنني صرت أحمر. إنه القمر! أقول هذا بهدوء وشغف، إنه القمر! وقلبي يخفق له بضربات خفيفة. يستمر هذا لدقائق. تهب قليلاً، فتصل ريح غريبة اليّ، ضغط هواء غريب. ما هذا؟ أنظر حولي، ولا أرى أحداً. الريح

تناديني، وتنحني روحي بامتثال إلى النداء، أشعر أنني حُملت خارج سياقي، مضغوط إلى صدر خفي، وتغبش عيناي، فأرتعش ــ الله موجود في مكان ما قريب ويحدق بي. استمر هذا الأمر لبضع دقائق. أدير رأسي، فيختفي ضغط الهواء الغريب يختفي، وأرى شيئاً يشبه ظهر روح تتجول بلا صوت خلال الغابة....

أصارع لفترة وجيزة مع خدر ثقيل، كنت أشعر بالإرهاق من حركات ذهنية، صرت متعباً جداً، وغفوت.

عندما استيقظت، كان الليل قد انقضى. للأسف، كنت في حالة حزينة لوقت طويل، فريسة الحمى، في انتظار الوقوع في نوع من المرض. وغالباً ما انقلبت الأمور رأساً على عقب بالنسبة لي، رأيت كل شيء بعيون ملتهبة، حزن عميق سيطر عليّ.

الآن انتهى الأمر.

## XXVII

إنه وقت الخريف. الصيف انقضى، اختفى بالسرعة التي جاء بها؛ للأسف، كم انقضى بسرعة! الآن هي الأيّام الباردة التي أصيد، وأصطاد السمك فيها وأغني الأغاني في الغابة. وهناك أيّام بضباب كثيف، الذي يحلق من البحر ويحجز كل شيء بالظلام. حدث في مثل هذا اليوم أمر. تهت في تجوالي حتى وصلت غابات الأبرشية وأتيت إلى منزل الطبيب. كان هناك غرباء حاضرون، السيدات الشابات اللواتي كنت معهن من قبل، شابات راقصات ومُهرات مجنونات تماماً.

جاءت عربة تتدحرج ووقفت أمام سور الحديقة؛ جلست إدفاردا في العربة. اندهشت عندما رأتني. وداعاً! قلت بهدوء. لكن الطبيب أعادني ثانية. كان

حضوري في البداية يثقل على إدفاردا وأغلقت عينيها عندما كنت أتحدث؛ تحملتني فيما بعد بصورة أفضل، وطرحت مع ذلك علي بعض الأسئلة القصيرة. كانت شاحبة بشكل ملفت للنظر، وغطى الضباب بشكل رمادي وبارد وجهها. لم تخرج من العربة.

«أنا مسافرة في مهمة»، قالت ضاحكة. «جئت من الكنيسة الرئيسية، حيث لم أجد أحداً منكم؛ قالوا إنكم كنتم هنا. وقد سرت في العربة لساعات لكي أجدكم. نقيم حفلة صغيرة، مساء غد ــ المناسبة هي، أن البارون سيسافر في الأسبوع القادم ــ وقد كلفت أن أدعوكم جميعاً. سنرقص أيضاً. إنه مساء غد».

أحنى الجميع رؤوسهم وقدموا الشكر.

وقالت لي إضافة إلى ذلك: إذا لم تتخلف، فأنت رائع. لا ترسل بطاقة اعتذار في اللحظة الاخيرة». لم تقل هذا إلى أحد من الآخرين. بعد فترة وجيزة انطلقت بالعربة وغادرت.

تأثرت كثيراً بهذا اللطف غير المتوقع، اختبأت لحظة وابتهجت. بعد ذلك قلت وداعاً إلى الطبيب وإلى ضيوفه وانطلقت في طريقي إلى البيت. كم كانت رحيمة بي، كم كانت رحيمة بي؟ ماذا يمكنني أن أفعل لها مرة أخرى؟ أصبحت يداي واهنتين، وبرد لطيف تدفق خلال معصمي. إلهي، أسير هنا، وأترنح مفعماً للغاية من الفرح، فكرت، ولا أستطيع أن أشبك يدي، لكن عينيّ اغرورقتا بالدموع من العجز؛ فهل هناك علاج لهذا؟....لم أذهب إلى المنزل إلا في ساعة متأخرة من الليل. سلكت طريق الميناء وسألت صياداً عمّا إذا كانت سفينة البريد ستصل مساء غد. للأسف، لا، ستأتي سفينة البريد، في وقت ما، الأسبوع القادم. أسرعت إلى الكوخ، ورحت أبحث عن أفضل بدلاتي. نظفتها بالفرشاة وجعلتها ممتازة، أصابتها بعض الثقوب في بعض الأماكن، فبكيت ورتقت الثقوب.

عندما انتهيت، استلقيت على التخت. دامت هذه الاستراحة لحظة، تخطر ببالي فكرة، فأقفز وأبقى واقفاً خائفاً وسط الأرضية. كل الأمر هو حيلة مرة أخرى! أهمسُ. لن أكون مدعواً لو لم أكن حاضراً بالمصادفة، عندما دُعي الآخرون؛ أما أنا، فقد أعطتني، علاوة على ذلك، أوضح إشارة كي لا أحضر، وكي أرسل بطاقة اعتذار....

لم أنم طوال هذه الليلة، وعندما أطل الصباح، ذهبت إلى الغابة، بردانا، مرهقاً ومحموماً. هلو، يعدون الآن حفلة في سيريولند! ثم ماذا؟ لن أذهب إلى هناك أو أرسل اعتذاراً. السيد ماك رجل ذكي إلى حد كبير، وهو الآن يقوم بهذا الحفل للبارون؛ لكنني لن أحضر، هل تفهمون هذا؟...

كان الضباب كثيفاً فوق الوادي والجبال، وغطت طبقة رقيقة ندية من الجليد ملابسي وجعلتها ثقيلة، كان وجهي بارداً ومبللاً. بين الحين والآخر فقط كانت تأتي هبة ريح وتجعل الضباب الراقد يعلو ويهبط، يعلو ويهبط.

كان الوقت متأخراً بعد الظهر، وأظلمت، أخفى الضباب كل شيء عن ناظري، ولم تكن لدي أية علامات أشعة شمس كي أتبعها. سرت مضطرباً لساعات في طريق عودتي؛ لكن لم يكن لدي أي شيء أستعجل إليه، أخطأت بكل طمأنينة الاتجاه ووصلت أماكن مجهولة في الغابة. أخيراً رفعت بندقيتي باتجاه غصن شجرة مسترشداً ببوصلتي. أحدد طريقي بالضبط وأبدأ مجدداً بالمسير. ربما تكون الساعة الثامنة أو التاسعة.

والآن حدث شيء.

بعد نصف ساعة أسمع موسيقى خلال الضباب، وبعد عدة دقائق أتعرف على المكان مرة أخرى، أقف بجوار المبنى الرئيسي في سيريلوند. فهل أضلتني بوصلتي تحديداً في توجيهي إلى المكان الذي كنت أريد الهرب منه؟ صوت مألوف يناديني، إنه صوت الطبيب. بعد فترة وجيزة، يقودني إلى الداخل.

للأسف، ربما كانت ماسورة بندقيتي قد أثرت بالبوصلة وجعلتها تنحرف. لقد حدث لي ذات مرة منذ فترة، الآن في هذا العام. لا أعرف، ماذا سأصدق.

## XXVIII

كان لدي انطباع مرير طوال المساء، أنه كان يتوجب عليّ أن لا أحضر إلى هذه الحفلة. بالكاد تم ملاحظة وصولي، كان الجميع مشغولين للغاية مع بعضهم البعض، وإدفاردا بالكاد رحبت بي. شرعت بالشرب بشكل مكثف، لأنني أدركت بأنني لم أكن مرحبّاً بي، ومع ذلك لم أمضِ في طريقي.

ابتسم السيد ماك كثيراً وأظهر وجهه الأكثر لطافة، كان يرتدي بدلة(32) ويبدو جيداً. كان أحياناً هنا، وأحياناً هناك في الغرف، واختلط بهؤلاء الضيوف البالغ عددهم مائة، ويرقص بين الحين والآخر رقصة، ويمزح ويضحك. وكانت تربض في عينيه أسرار.

ترددت جلبة من الموسيقى والأصوات في جميع أنحاء المنزل. احتل الضيوف خمس غرف، كما رقصوا في الصالة الكبيرة. عندما جئت، كانوا قد تناولوا طعام العشاء. فتيات منهمكات يستعجلن هنا وهناك بالكؤوس والنبيذ، أباريق قهوة مصنوعة من النحاس اللامع، سيگار، غلايين، كيك وفواكه. لم يجرِ ادخار أيّ شيء. الثريات في الغرف كانت مليئة بشموع كثيفة غير معتادة مصممة لهذه المناسبة؛ علاوة على ذلك، أضيئت مصابيح الكيروسين الجديدة.

ساعدت إيفا في المطبخ، رأيت لمحة منها.

كان البارون موضع اهتمام كبير، رغم أنه كان هادئاً ومتواضعاً ولم يبرز نفسه. هو أيضاً كان يرتدي بدلة(33)، نتوءاتها كانت مدعوكة بشكل بائس بعد الحزم. (34) كان يسلي نفسه مع إدفاردا بانتظام، ويتبعها بعينيه ويقرع الأنخاب معها، ويسميها آنسة، مثل فعل بنات عميد المنطقة وطبيبها. شعرت بنفور مستمر

منه، ونادراً ما كنت أستطيع أن القي نظرة عليه إلاّ وأشيح عنه بتكشيرة بليدة وكئيبة. وعندما كان يتحدث معي، أجيب باختصار وأطبق فمي بعد ذلك.

سوف أتذكّر شيئاً ما من هذا المساء. كنت أتحدث إلى فتاة شابة، شقراء، عندما قلت شيئا أو أخبرتها قصة، جعلتها تضحك. كانت إلى حد ما قصة غريبة؛ لكن لعلي وأنا في حالتي الثملة القليلة رويتها بسخرية أكبر مما أستطيع أن أتذكّر الآن، وفي كل الأحوال فقد نسيت هذا. ويكفي حول هذا: عندما استدرت، كانت إدفاردا تقف خلفي. ألقت علي نظرة استحسان. ثم لاحظت أنها سحبت الشقراء معها لكي تعرف، ماذا قلتُ. لا أستطيع أن أقول، ما فعلته نظرة إإدفاردا حقا بي، ما دمت تنقلتُ مرفوضاً من غرفة إلى غرفة طوال الليل؛ أصبحت على الفور في وضع للسرور أكثر إشراقاً وتحدثت فيما بعد مع عديدين وكنت مسلياً. وحسب علمي لم أرتكب أي خطأ....

كنت واقفاً على السلم، وجاءت إيفا حاملة بعض الأشياء من إحدى الغرف. رأتني، فخرجت إلى السلم ومررت يدها بسرعة فوق يدي، ابتسمت بعدها وعادت إلى الداخل. لم يتحدث أحد منا. وعندما أردت أن أتبعها، وقفت إدفاردا في المدخل وهي تنظر إليّ. نظرت مباشرة إلي. ولم تقل شيئاً أيضاً. فذهبت إلى الصالة.

«تصور، أن الملازم غلان يسلي نفسه بالاجتماع مع الخدم على السلم»، قالت إدفاردا فجأة بصوت عالٍ. كانت تقف في الباب. وكان هناك العديد من سمعوا ما قالت. وضحكت، كما لو أنها كانت تمزح، لكن وجهها كان شاحباً للغاية.

لم أجب بأي شيء حول هذا، لكنني دمدمت فقط:

«كانت صدفة، أنها خرجت فحسب، والتقينا في الممر...».

مرت فترة وجيزة، ربما فترة ساعة. سيدة أهرقت كأسها على فستانها. وبمجرد أن رأت إدفاردا ذلك، صرخت: «ماذا بك؟ من الطبيعي، أن غلان هو

من قام بذلك ».

لم أكن قد فعلت ذلك، لقد كنت أقف في زاوية أخرى من الصالة، عندما وقع الحادث. من الآن فصاعداً رحت أشرب بكثافة ثانية وبقيت عند الباب لكي أكون معيقاً للراقصين.

جمّع البارون، بالإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه، السيدات حوله، وأعرب عن أسفه، أن مجموعاته قد تم حزمها مسبقاً، بحيث أنه لا يستطيع أن يعرض شيئاً منها، هذا النوع من الأشنات من البحر الأبيض، والطين من جزيرة كورهولم، ورواسب صخرية مثيرة للاهتمام جداً من قاع البحر. استرقت السيدات بفضول النظرة إلى أزرار قميصه، ذوات النجمة الخماسية، والتي تعني أيضاً: البارون. أثناء ذلك لم يحالف الحظ الطبيب، حتى شتيمته المازحة، «الموت والتعذيب» لم يعد لها أي تأثير. لكن عندما تكلمت إدفاردا، كان هو لا يزال نشطاً، وصحح لغتها مجدداً، ألجمها بصعوبات صغيرة، وردعها بتعالٍ هادئ.

قالت:

«.... حتى اجتاز وادي الموت».

وسأل الطبيب:

«تجتازين ماذا؟».

«وادي الموت. أليس اسمه وادي الموت؟».

«لقد سمعت أنهم يتحدثون عن نهر الموت. إنه بلا شك هذا، الذي يقصدونه».

فيما بعد تحدثت عن السماح لشيء كي يحرس مثل....

«التنين»، أضاف الطبيب.

«نعم، كتنّين»، أجابت.

لكن الطبيب قال:

«اشكريني الآن، لأنني أنقذتك. أنا متأكد، انك ستقولين أرغوس(35)».

رفع البارون حاجبيه إلى الأعلى وألقى عليه نظرة مندهشة خلال نظارته السميكة؛ لكن الطبيب تظاهر كما لو لم يحدث أي شيء. ما أهمية البارون بالنسبة له!

لا أزال أقف عند الباب. هناك يرقصون بفرح في الصالة. نجحت في الدخول في حوار مع معلمة من مقر القسّ. تحدثنا عن الحرب، الاوضاع في القرم، الاحداث في فرنسا، نابليون كإمبراطور، حمايته للأتراك. كانت هذه السيدة الشابة قد قرأت الصحف في الصيف، وكان بوسعها أن تروي لي أخباراً. نجلس أخيراً على الأريكة ونتحدث.

مرت إدفاردا، وتبقى واقفة أمامنا. تقول فجأة:

«اعذرني، أيها الملازم، لأنني فاجأت حضرتك على السلم. لن أقوم بهذا أبداً».

ضحكت الآن أيضاً ولم تنظر لي.

«يا آنسة إدفاردا، دعك من هذا الآن»، قلتُ.

لقد سمّتني حضرتك، لم يكن ذلك لمن جل أمر جيد، وكانت ملامحها حقودة. فكرت بالطبيب وهززت بتعال كتفي، كما كان سيفعل.

قالت:

«لماذا لا تذهب إلى المطبخ؟ إيفا هناك. أرى أن عليكم أن تقيموا حضرتكم(36) خارجاً».

بعد ذلك رمقتني بكراهية.

قلتُ: «ألم يحتمل أن يساء فهمك، يا آنسة إدفاردا؟».

«لا، كيف؟ نعم، قد يكون الأمر كذلك، لكن كيف؟».

«أنت تتكلمين بطريقة غير متقنة أحياناً. الآن، بدا لي، أنك تصرفينني رسمياً إلى المطبخ، ومن الواضح، أن هذا سوء فهم، وأعلم حق المعرفة، أنك لم تقصدي أن تكوني وقحة».

تبتعد بعض الخطوات عنا. كان بوسعي أن أراها، أنها فكرت طوال الوقت حول ما قلت. تستدير وتعود، وتقول بحزم: «لم يكن هناك على الإطلاق أي سوء تفاهم، أيها الملازم، ما سمعتموه صحيح، لقد صرفت حضرتك إلى المطبخ».

«لا، لكن يا إدفاردا!»، تنفجر المعلمة المذهولة.

وبدأت الحديث مجدداً عن الحرب والأوضاع في القرم؛ لكن أفكاري كانت بعيدة عن هنا. لم أعد في حالة سكر، مجرد دائخ إلى حد ما، تميد الأرض تحت قدمي، وفقدت ثانية، كما في كل المرات التعيسة من قبلُ، التوازن. أنهض من الأريكة وأرغب الذهاب إلى الخارج. يوقفني الطبيب.

«في هذه اللحظة سمعت إطراء عنك»، قال.

«إطراء؟ ممن؟».

«من إدفاردا. إنها لا تزال تقف هناك في الزاوية وتنظر إليك بعينين متوقدتين. سوف لن أنسى هذا أبداً، كان عشقها يبدو في عينيها تماماً، وقد قالت بصوت عال، إنها معجبة بك».

«هذا أمر جيد». أجبت ضاحكاً. للأسف، لم تكن هناك فكرة واضحة في رأسي.

توجهت نحو البارون، وانحنيت عليه، كما لو أنني أريد أن أهمس شيئاً له، وعندما كنت قريباً بما فيه الكافية منه، بصقت في أذنه. وقف وحدق في وجهي ببلادة على تصرفي. فيما بعد رأيت، أنه أخبر إدفاردا على ما حصل، وأنها كانت غاضبة. فكرت بحذائها، الذي رميته في الماء، وبالفناجين والكؤوس، التي كنت غير محظوظ كفاية لأحطمها، وبكل تلك الانكسارات، التي تسببت بها بنبرة جيدة؛ كل ذلك عاش حتماً في ذاكرتها مجدداً. شعرت بالخزي، الأمر انتهى معي، وأينما التفت، واجهت نظرات خائفة ومندهشة، فتسللت، دون وداع إدفاردا شكر، مبتعداً عن سيريلوند.

# XXIX

سيسافر البارون؛ حسناً! سأترك بندقيتي وأتسلق جبلاً وأطلق إطلاقة عالية على شرفه وشرف إدفاردا. سألغم حفرة عميقة في أحد الصخور وأفجر جبلاً إلى أجزاء على شرفه وشرف إدفاردا. وستتدحرج كتلة صخرية كبيرة حتى أسفل الجبل وتتوجه بعنف إلى البحر، عندما تمرّ سفينته. أعرف مكاناً، حافة في الجبل، حيث تدحرجت الأحجار من قبل وفتحت طريقاً نظيفاً مباشراً للبحر. هناك في العمق تقع قرية Baadstø.(37) «مثقبان للمنجم!»، أقول إلى الحداد...

والحداد يشحذ المثقبين...

كلفوا إيفا لتركب أحد خيول السيد ماك ذهابا وإيابا بين الطاحونة ورصيف الميناء. كان عليها القيام بعمل شاب ونقل أكياس من الحنطة والطحين. ألتقي بها، وهي تبدو رائعة بوجهها النشيط. يا إلهي الطيب، كم تلتهب ابتسامتها بحنان! كنت ألتقيها كل مساء.

«أنت تبدين كأنك بلا أحزان، يا إيفا، يا حبيبتي».

«انتَ تسميني حبيبتك! أنا زوجة غير متعلمة، لكنني سأكون وفية لك، حتى وإن متّ من أجل هذا. يصبح السيد ماك أقسى وأقسى يوماً بعد يوم، لكنني لا أفكّر بهذا؛ هو يغضب، لكنني لا أردّ عليه. لقد مسكني من ذراعي وصار كالحاً من الهياج. ليس لدي حزن واحد».

«وما هو هذا الحزن؟».

«السيد ماك يهددني. إنه يقول لي: أها، إنه الملازم، الذي يشغل بالك! أجيب: نعم، إنني تابع له. عند ذاك يقول: نعم، انتظري فحسب، سأبعده على الأرجح! قال هذا أمسِ».

«هذا لا يعني أي شيء؛ دعيه يهدد.... إيفا، هل أستطيع أن أرى، فيما أن قدميك بنفس الصغر؟ أغلقي عينيك ودعيني أنظر!».

وترتمي بعينين مغلقتين على عنقي. وتجتاحها رعشة.

**XXX**

أجلس في الجبل وأحفر. ثمة هواء خريفي صاف حولي، الضربات على آلة الثقب ترّن بتواتر وإيقاع، ينظر إليّ إيسوب بعينين مذهولتين. دفق من الرضا يمر بين الحين والآخر عبر صدري؛ لا أحد يعرف أنني هنا في هذا الجبل المهجور.

الطيور المهاجرة بعيدة حالياً؛ سفرة سعيدة وأهلا بعودتك! عصافير الزرازير وعصافير hængertitter(38) وهذا أو ذاك من عصافير الدوري وغيرها من العصافير تعيش وحيدة بين ركام الأحجار والشجيرات الكثة؛ بيب ــ بيب! كل شيء تغير بغرابة، فشجيرات البتولا القزمة تنزف أحمرَ على الصخور الرمادية، وتظهر زهرة جريس هنا، وعشبة الخلاف(39) هناك فوق الخليج وتتمايل وتهمس بهدوء أغنية؛ صَهْ! لكن هناك فوق كل شيء يحوم عقاب، برقبة ممدودة، باحثاً وسط الجبال.

ويحل المساء، فأضع المثقبين ومطرقتي تحت صخرة وآخذ استراحة. كل شيء. كل شيء يهجع، القمر ينزلق شمالاً، الجبال تلقي بظلال عملاقة. إنه قمر كامل، ويبدو كأنه جزيرة مشتعلة، يبدو كأنه لغز مدور من نحاس، الذي أدور حوله وأتعجب منه. ينهض إيسوب وهو مضطرب.

ماذا تريد، يا إيسوب؟ بالنسبة لي سئمت من حزني، أريد أن أنساه، وأغرقه. آمرك أن تجلس هادئاً، يا إيسوب، لا أريد أي قلق. تسأل إيفا: هل تفكر بين الحين والآخر بي؟ وأجيب: دائماً بك. تسأل إيفا ثانية: وهل يبعث فيك فرحاً أن تفكر بي؟ أجيب: فرح كامل، وليس غير الفرح قطعاً. فتقول إيفا: شعرك بدأ يشيب. وأجيب: نعم، لقد بدأ يشيب. لكن إيفا تسأل: إنه يشيب من شيء، أنت تفكر فيه؟ على ذلك أجيب: ربما. في النهاية تسأل إيفا: إذن، أنت لا تفكر فحسب بي.... إيسوب، ابق هادئا، أريد بالأحرى أن أخبرك شيئاً آخر....

لكن إيسوب ينهض ويتشمم ناحية الوادي متوتراً، يعوي ويسحبني من ثيابي. وعندما أنهض أخيراً وأتبعه، لم يكن بإمكانه أن ينطلق بسرعة كافية. حمرة في السماء تظهر فوق الغابة، أمضي بسرعة إلى حيث يبدو لناظري نيران، حريق هائل. أتوقف وأحدق، أتراجع بعض الخطوات وأحدق ــ كوخي تلتهمه النار.

## XXXI

كان الحريق من عمل السيد ماك، وقد أدركته من اللحظة الاولى. فقدت جلود حيواناتي وأجنحة طيوري، وفقدت نسري المحنط؛ كل شيء محترق، وماذا بعد؟ استلقيت تحت سماء مفتوحة ليلتين دون أن أذهب إلى سيريلوند وأطلب المأوى، وأخيراً استأجرت كوخاً مهجوراً لصيد الأسماك على رصيف الميناء وأحكمته باستخدام سبخ المستنقعات. نمت على حمولة من نبات عنب الثعالب من الجبل.

بعثت إدفاردا رسالة تفيد بأنها سمعت بمصابي، وعرضت عليّ الآن باسم الأب غرفة في سيريلوند. هل إدفاردا متأثرة؟ هل إدفاردا سمحة؟ لم أقدم أرسل أي جواب. الشكر لله، أنني لم أعد دون مأوى، وولّد هذا لي فرحة مزهوة، أن لا أستجيب لعرض إدفاردا. التقيت بها في الطريق وكانت مع البارون، كانا يسيران ذراعاً بذراع، فنظرت إليهما معها في وجهيهما وحييتُهما بصورة عابرة. وقفت وسألت: «أنت لا تريد أن تسكن عندنا، أيّها السيد الملازم؟ لدي بيت جديد جاهز مسبقاً»، أجبت وتوقفت أيضاً.

نظرت إليّ، وكان صدرها يخفق سريعاً.

«لا ينبغي أن تعاني من أي نوع من الإزعاج معنا»، قالت.

تحرّكت مشاعر الشكر في قلبي؛ لكنّني لم أكن قادراً على قول شيء.

غادر البارون بخطى بطيئة.

«ربما لا تريد أن تراني أبداً مرة أخرى؟»، تسأل.

«أنا أشكرك يا آنسة إدفاردا، لأنك وفرت لي المأوى، عندما احترق كوخي»، قلت. «لقد كان الأمر أكثر نبلاً، الذي حصل على الأرجح برغبة والدك».

وشكرتها حاسرَ الرأس على عرضها.

«بحق الله، ألا تريد أن تراني أبداً، يا غلان؟»، قالت مرة واحدة. فصاح البارون.

«البارون يصرخ»، قلت ونزعت مرة أخرى طاقيتي باحترام.

ذهبت إلى الجبل متوجهاً إلى مناجمي. لا شيء، لا شيء يمكن أن يخرجني من رباطة جأشي. التقيت بإيفا. هه انظر! صحت، لا يستطيع السيد ماك أن يثيرني. لقد أحرق كوخي، وأنا لدي كوخ آخر مسبقاً.... وهي تحمل مكنسة وجردل قطران. ماذا الآن، يا إيفا؟

كان السيد ماك قد قوّس أحد القوارب في مدينة تسوغ(40) تحت الجبل وأمرها أن تطليه بالقطران. ورصد كل خطواتها، وكان عليها الإذعان.

لكن لماذا في المدينة بالذات؟ لماذا ليس على رصيف الميناء؟

لقد أمر السيد ماك بذلك.....

يا إيفا، يا إيفا، يا حبيبتي، جعلوا منك عبدة، وأنت لا تتذمرين. انظري، أنت تبتسمين الآن ثانية، والحياة تنضح عبر ابتسامتك، حتى وأنت عبدة!

عندما وصلت إلى موقع مناجمي، واجهتني مفاجأة. رأيت، أن هناك بشراً كانوا في الموقع، تفحصت الآثار على التراب المخلوط بالحصى الصغير وتعرفت على آثار حذاء السيد ماك المدبب الطويل. ماذا يعمل هنا ويبحث عنه؟ فكرت، ونظرت حوالي. لا أحد كان ظاهراً. ولم تثر أيّة شكوك عندي.

وجلست لأطرق على إزميلي دون أن أعرف، أي خطأ ارتكبته.

## XXXII

وصلت سفينة البريد، وجلبت بدلتي، ستحمل معها البارون وكل صناديق الاصداف والأشنيات المتنوعة على متنها. والآن تشحن السفينة بسمك الرنكة والزيت من رصيف الميناء، وبحلول المساء سترحل السفينة.

أتناول بندقيتي وأضع كمية من البارود في فتحتي السبطانة. وعندما قمت بذلك، أومأتُ بالإيجاب في نفسي. أذهب إلى الجبل وأملأ أيضاً موقع منجمي بالبارود؛ وأومأتُ بالإيجاب مجدداً. الآن كل شيء جاهز. فمكثت انتظر.

انتظرت لساعات. سمعت طوال الوقت، أن السفينة البخارية كانت تُسحب بسلاسل في مختلف الأنحاء عند رصيف الميناء. بدأت تباشير الظلام بالفعل. وأخيراً ترن صفارة، لقد تم شحن البضاعة، والسفينة تبحر. لدي الآن بعض دقائق للانتظار. لم يكن القمر قد علا بعدُ، ورحت أتطلع كمجنون خلال هذه الليلة المعتمة.

عندما ظهرت أوّل حافة مقدمة المركب عند الجزيرة، أشعلت فتيلي وانسحبت بسرعة بعيداً. مرت دقيقة واحدة. فجأة يدوّي انفجار. فيتطاير رذاذ بلاطات حجرية في الهواء، يهتز الجبل، وتتدحرج كتلة صخرية مدوية إلى القاع. فيتردد صدى الانفجار بين الجبال المحيطة. أتناول بندقيتي وأطلق خرطوشاً. فيجيب الصدى بمرات ومرات مضاعفة. وبعد لحظة، أطلق خرطوش البندقية الثاني أيضاً. يرتجف الهواء من تحيتي ويلقي الصدى الضجيج في العالم الواسع. كان الأمر كما لو أن كل الجبال اجتمعت لتصرخ بصوت عال من أجل السفينة المغادرة. يمرّ وقت قصير، يسكن الهواء، ويصمت الصدى في كل الجبال، ومرة أخرى الأرض صامتة. تختفي السفينة في الغروب.

لا أزال أرتعش بسبب توتر غريب، أحمل مثقبي وبندقيتي تحت ذراعي وأبدأ النزول من الجبل بركبتين مرتخيتين. سلكت أقصر الدروب، مثبتاً نظري على

الأثر الدخاني، الذي خلّفه تزحلقي. يمشي إيسوب طوال الوقت، ويهز رأسه ويعطس من الرائحة المفعمة بالعرق.

عندما نزلت إلى تسوغ، واجهني مشهد، وضعني في انفعال أكثر عنفاً: جثم قارب تحطّم بسبب كتلة الحجر المنهارة، وإيفا، إيفا تتمدد إلى جانبه، وقد انهارت تماماً، قفزت بسبب صدمة، وتقطعت إلى ما لا يمكن التعرف عليه في جانب وأسفل البطن. كانت إيفا قد ماتت على الفور.

## XXXIII

ماذا علي أن أكتب أكثر؟ لم يكن هناك إطلاق نار مني لعدة أيام، وليس عندي طعام، ولم آكل أيضاً، جلست في كوخي. نقلت إيفا إلى الكنيسة في قارب السيد ماك المصبوغ بالأبيض، ذهبت إلى البر وحضرت عند القبر.

ماتت إيفا. هل تتذكر رأسها الفتي الصغير بشعرها كشعر الراهبة؟ كانت تأتي بهدوء كبير، وتضع حملها وتبتسم. وهل رأيت، كم كانت تنضح تلك الابتسامة بالحياة؟ اسكت، يا إيسوب، أتذكّر أسطورة غريبة، إنها من أربعة عصور بشرية سابقة، في زمن إيسلين، عندما كان ستامبر قسّاً.

كانت ثمة فتاة مسجونة في برج من الطوب. كانت تحب رجلاً. لماذا؟ اسأل الريح والنجوم، اسأل إله النجوم؛ لأن لا أحد آخر يعرف مثل هذا الأمر. والرجل كان صديقها وحبيبها؛ لكن الزمن مرّ، ورأى في أحد أيّام الأسبوع واحدة أخرى، فانقلب عقله.

عندما كان شاباً أحب فتاته. وكان يسميها غالباً نعمته وحمامته، وكان لها عناق حار وخفاق. قال: «أعطني قلبكِ!»، فقامت بذلك. قال: «هل أجرؤ أن أطلب منك شيئاً يا حبيبتي؟»، فأجابته منتشية نعم. وقد منحته كل شيء، ومع ذلك لم يشكرها.

الأخرى أحبها كعبدة، كمجنونة وكمتسولة. لماذا؟ اسأل الغبار في الطريق وأوراق الشجر الساقطة، اسأل إله الحياة الغامض؛ لأن لا أحد آخر يعرف شيئاً كهذا. أنها لم تمنحه أي شيء، لا، لم تعطه أي شيء، ومع ذلك فقد شكرها. قالت: «أعطني سلامك وعقلك!»، وسعى هو فحسب، أنها لا تطلب حياته.

وكان مصير فتاته الحبس في البرج.....

ماذا تفعلين، أيتها الفتاة، أنت تجلسين وتبتسمين؟

أفكّر بشيء ما، قبل عشر سنوات. فحينها التقيت به.

هل ما زلت تتذكرينه؟

لا زلت أتذكّره.

ويمر الوقت....

ماذا تفعلين، يا فتاة؟ ولماذا تجلسين وتبتسمين؟

أخيط اسمه على شرشف طاولة.

اسم من؟ هل هو هذا، الذي حبسك؟

نعم، هو، الذي التقيته قبل عشرين عاماً.

هل ما زلت تتذكرينه؟

أتذكّره كما في السابق.

ويمر الزمن....

ماذا تفعلين، أيتها السجينة؟

بدأت أشيخ ولم أعد أرى كي أُطرّز، وأكشط الكلس من الجدار. ومن الكلس أصنع جرّة له، كهدية صغيرة له.

عمّن تتحدثين؟

حبيبي، الذي سجنني في البرج.

وهل تبتسمين من أنه حبسك في البرج.

أفكّر بما سيقول الآن. انظر، انظر، سيقول، لقد أرسلت فتاتي جرّة صغيرة لي، فهي لم تنسني طوال ثلاثين عاماً.

ويمر الزمن....

ماذا، أيتها السجينة، تجلسين ولا تفعلين أي شيء، وتبتسمين؟

أنا أشيخ، أشيخ، وعميت عيناي، أفكّر فحسب.

تفكرين به، الذي التقيتِه قبل أربعين عاماً؟

أفكّر به، الذي التقيته، عندما كنت شابة. ربّما كان هذا قبل أربعين عاماً؟

لكن ألا تعرفين أنه مات؟ أنت شاحبة، وعجوز، ولا تجيبين، وفمك أبيض، وما عدت تتنفسين....

وهكذا كانت الأسطورة الغريبة عن الفتاة في البرج. على مهلك، يا إيسوب، فقد نسيت شيئاً: سمعت في أحد الأيّام صوت حبيبها في الباحة، فتهاوت على ركبتيها واحمر وجهها. عندئذ كان عمرها أربعين عاماً....

أنا أدفنك، يا إيفا، وأقبّل تضرعاً رمل قبرك. عندما أفكّر بك، تنساب ذكرى كثيفة وردية عبر أعماقي، وعندما أتذكّر ابتسامتك، أصبح مغموراً بالبركة. لقد قدمت كل شيء، ووهبت كل شيء، ولم يكلفك ذلك أي انتصار؛ لأنك كنت طفلة الحياة المنتشية ذاتها. أما الأخريات، اللواتي يبخلن بحرص حتى بالنظرة، يمكن أن يشغلن كل تفكيري. لماذا؟ اسألي الأشهر الاثني عشر والسفن في البحر، اسألي إله الحياة الغامض.....

## XXXIV

قال رجل:

«لم تعد ترمي من بندقيتك؟ لدى إيسوب وشق في الغابة، إنه يتصيد أرنباً».

قلت: «اذهب واصطده لي».

مضت بعض الأيّام، بحث عني السيد ماك، كان يبدو غائر العينين، ووجهه كالح. فكرت: هل الأمر كذلك، بحيث أتمكن من أن أسبر أغوار البشر، أم أن الأمر ليس كذلك؟ أنا نفسي لا أعرف.

تحدث السيد ماك عن الانهيار، عن الكارثة. كانت مصيبة، صدفة تعيسة، وليس لي ذنب فيها.

قلت:

«لو كان هناك أحد ما أراد بكل ثمن أن يفصلنا إيفا وأنا، فقد بلغ ذلك. لعنه الله!».

نظر السيد ماك بشكل مثير. غمغم بشيء عن مراسيم الدفن الجميلة، حيث لم يتم ادخار أي شيء.

كنت أجلس وأتعجب من مرونته.

وهو لا يريد أن يحصل أي تعويض عن قاربه، الذي تسبب انزلاقي بتحطيمه.

«حسناً»، قلت، «هل حقاً أنك لا تريد أي تعويض عن القارب، ودلو القطران والمكنسة.....؟».

«كلا، يا حضرة الملازم»، أجاب، «كيف يمكن أن يخطر على بالك هذا!»، ونظر إليّ بعينين مليئتين بالكراهية. لم أرَ إدفاردا طوال ثلاثة أسابيع. حسناً، ذات مرة، التقيت بها في المخزن(41)، حيث ذهبت إلى هناك لأشتري خبزاً، كانت تقف وراء طاولة وتقلب ملابسَ متنوعة. لم يكن سوى حارسين موجودين، بالإضافة إليها.

سلّمتُ بصوت عالٍ، رفعت عينيها، لكن لم تجُب. فخطر على بالي أن لا أطلب خبزاً بوجودها، استدرت نحو العاملين وطلبت باروداً وحبّات رصاص(42). بينما كان يتم وزن هذه المواد، كنت أراقبها.

فستانٌ رماديّ وقصير جدّاً، وكانت أزراره بالية؛ كان الصدر المستوي يخفق بسرعة. كم كبرت في الصيف! جبهتها، فكّرتُ، الحواجب المقوسة المتميزة كانت في وجهها كأنهما لغُزين، كلّ حركاتها أصبحت أكثر نضجاً. نظرتُ إلى يديها، تركَت أصابعها الطويلة الناحلة انطباعاً عنيفاً بي، جعلني أرتعش. كانت تقلب في الأقمشة.

تمنيت لو أن إيسوب سيركض إلى وراء الطاولة، نحوها، ويتعرف عليها ثانية، فأناديه على الفور إليّ أو أطلب المعذرة؛ بماذا سيكون جوابها حينها؟

«تفضل!»، قال العامل.

دفعتُ، أخذت الرزمة وألقيت ثانية التحية. نظرَت إلى الأعلى، لكنها لم تردّ هذه المرة أيضاً. هذا أمر جيد! فكّرتُ؛ ربما أنها بالفعل زوجة البارون. وغادرت

بدون خبز.

عندما وصلتُ إلى الخارج، ألقيت نظرة نحو النافذة. لم يكن أحد يتابعني بنظراته.

## XXXV

ثم في إحدى الليالي، هطل الثلج وأصبحت باردة في كوخي. كان هناك موقد، حيث طهوت طعامي، لكن الحطب كان يحترق بصورة سيئة، وكان الهواء يتسرب بشكل كبير من الجدران، رغم أنني عملت على سدّها بأفضل ما أمكنني. انقضى الخريف، وصارت النهارات قصيرة. ذاب أوّل ثلج قبل الشمس، وبدا الحقل مرة أخرى عارياً؛ لكن الليالي كانت باردة، وتجمد الماء. ومات كل العشب والحشرات.

خيم هدوء خفي على الناس، تأمّلت وصمتَت، وانتظرت عيونها الشتاء. ولم يعد يُسمع أيّ نداء من مكان التجفيف، وكان الميناء هادئاً، وتحرك كلّ شيء نحو ليل الشمال المضيء، عندما تنام الشمس في البحر. خرساء، خرساء رنت ضربات المجذاف من قارب وحيد.

وصلت فتاة مجذفة.

«أين كنت، يا فتاتي؟».

«في لا مكان».

«في لا مكان؟ اسمعي، أنت، أنا أعُرفك، قابلتك في الصيف».

وصلَت إلى الشاطئ، نزلَت على الأرض، وربطَت القارب.

«كنت راعية، وكنت تشدّين جورباً، وقابلتك ذات ليلة».

صعدت حمرة خفيفة في وجنتيها، وضحكت بحرج.

«يا فتاتي الصغيرة، ادخلي إلى كوخي ودعيني أنظر إليك. بالمناسبة اسمك هنرييتا».

لكنها تتجاوزني صامتة. استولى عليها الخريف، والشتاء، وماتت أحاسيسها مسبقاً.

كانت الشمس قد نزلت إلى البحر.

## XXXVI

ولأول مرة ارتديت زيّي الرسمي ونزلت إلى سيريلوند. كان قلبي يخفق. أتذكّر كلّ شيء منذ اليوم الاول، عندما اندفعت إدفاردا نحوي وعانقتني بمرأى الجميع؛ وهي تتقاذفني ذهاباً وإياباً في أشهر عديدة وجعلت رأسي أشيبَ. ذنبي أنا؟ نعم، لقد قادتني نجومي إلى التيه. فكرت: كم ستهنأ، لو أنني أرمي نفسي أمامها وأقول لها أسرار قلبي هذا اليوم! ستقدم لي كرسياً وتسمح بدخول النبيذ، وبينما هي ترفع الكأس إلى فمها لكي تشرب معي، ستقول: أيها السيد الملازم، أنا أشكرك على الوقت الذي كنا فيه معاً، ولن أنساه أبداً! لكن عندما أصبح عندئذ سعيداً وأحصل على القليل من الأمل، سوف تتظاهر وكأنها تشرب وتضع الكأس دون أن تلمسه. وهي لا تريد أن تخفي عني، أنها تتظاهر فحسب، كأنها تشرب، وهي تريد بالتحديد، أن تريني هذا. هكذا هي.

حسناً، الآن، تدق الساعة الاخيرة حالاً!

وبينما كنت أسير في الطريق، فكرت مواصلاً: إن بزّتي الرسمية ستترك انطباعاً فيها، شرائطها جديدة وجميلة، والحسام سيكون له صليل على الأرضية. تدفقت خلالي سعادة، وهمست إلى نفسي: كيف تعرف، ماذا يمكن

أن يحدث حتى الآن! رفعت رأسي وصفقت بيدي. لا تواضع في أغلب الأحيان، المجد في الحياة! لم أكن مهتما، كيف جرت الامور، ولن أقوم بمبادأة في الكلام أكثر. عذراً، أنني لم أطلب يدك، أيتها الآنسة الجميلة...

التقاني السيد ماك في الباحة، عيناه أكثر تجويفاً، ووجهه أكثر كآبة.

«تسافر؟ آه، حسناً. نعم، أنت لم تكن منعماً بالسرور في الفترة الأخيرة؛ أليس كذلك؟ كوخك احترق».

وابتسم السيد ماك.

وكان ذلك فجأة كأنني رأيت أذكى رجل في العالم أمامي.

«ادخل، أيها الملازم، إدفاردا في الداخل. حسناً، وداعاً، وداعاً. سنلتقي بالتأكيد، وإلاّ ففي الميناء، عندما تغادر السفينة». ثم ابتعد محني الرأس، وهو يفكر ويصفر.

كانت إدفاردا تجلس في الصالة، وتقرأ. عندما دخلت، حدّقت لحظة ببزّتي، ونظرَت إليّ نظرة جانبية مثل طائر وأصبحت علاوة على ذلك حمراء الوجه. فتحت فمها.

«جئتُ لكي أقول وداعاً»، نطقتُ أخيراً. نهضَت دفعة واحدة، ولاحظتُ، أن كلماتي تركت فيها بعض الأثر».

«هل ستسافر، يا غلان؟ الآن؟».

«حالما تأتي الباخرة». أمسكُ يدها، كلتا يديها، تسودني بهجة لا معنى لها، فأنفجر:

«إدفاردا!»، وأحدّق فيها.

وفي الوقت نفسه هي باردة، باردة، ومتحدية. كان كلّ شيء فيها يقاومني، عدّلت من جلستها. ووجدت نفسي كأسدٍ أمامها، أطلقتُ يديها وتركتُها تذهب. أتذكّر، أنني منذ تلك اللحظة فصاعداً وقفت وكررت بصورة آلية: إدفاردا! إدفاردا! مرّات عديدة، بدون أن أفكّر بهذا، وعندما سألتني: نعم؟ ماذا تريد أن تقول؟»، لم أوضّح لها أيّ شيء.

«تصوّر، أنّك من الآن سترحل!»، كرّرت. «مَن سيأتي العام القادم؟».

«آخر»، أجبتُ. «وطبعاً سيبنى الكوخ من جديد».

صمتْ. وقد مدّت يدها إلى كتابها.

«أعتذر، أن أبي غير موجود في الداخل»، قالت.

«لكنني أنقل تحيات منه لك».

لم أجب على ذلك. تقدّمتُ، أخذتُ يدها مرّةً أخرى وقلتُ:

«حسناً، وداعا، يا إدفاردا ».

«مع السلامة»، أجابت.

فتحتُ الباب وتظاهرتُ كأنني ذهبتُ. وكانت قد جلست والكتاب في يدها، وكانت تقرأ وتقرأ حقاً وتقلّب الصفحات. لم يترك وداعي أي تأثير، أي تأثير عليها.

سعلتُ.

استدارت وقالت مندهشة:

«ألم تذهب؟ حسبتُ أنك غادرت».

الله وحده يعرف هذا، لكن دهشتها كانت كبيرة جداً، وهي لم تحترس، بل بالغت في دهشتها، وخطرت على بالي هذه الفكرة، ربما أنها كانت تعلم طوال الوقت، أنني كنت أقف وراءها.

«والآن يجب أن أذهب»، قلت.

حينها نهضت وتوجهت نحوي.

«أريد أن أحصل على ذكرى عنك، وأنت تسافر الآن»، قالت. «وفكرت أن أطلب منك شيئاً، لكن هذا كثير للغاية طبعاً. هل تعطيني إيسوب؟». لم أفكّر، بل أجبت نعم.

«فربما تجلبه غداً»، قالت.

وذهبتُ.

رفعت نظري إلى النافذة. لم يكن أحد هناك. الآن انتهى كل شيء....

الليلة الاخيرة في الكوخ. كنت أفكّر، وأحسب الساعات؛ وعندما جاء الصباح، أعددت آخر وجبة طعام لي. كان يوماً بارداً.

لماذا طلبت مني شخصياً أن أجلب لها الكلب؟ هل أرادت أن تتحدث معي، أن تقول لي شيئاً لآخر مرة؟ ليس لدي أي شيء أنتظره. وكيف ستعامل إيسوب؟ إيسوب، يا إيسوب، إنها تريد تعذيبك! بسببي تريد أن تجلدك، ربما تداعبك أيضاً، لكن في كل الاحوال تجلدك بمناسبة وبغير مناسبة وتدمرك كلياً....

دعوت إيسوب إليّ، لاطفته، وضعنا رأسينا معاً وتناولت بندقيتي. فراح يعوي من الآن يعوي واعتقَد، أننا سنذهب إلى الصيد. مرة أخرى وضعتُ رأسي إلى رأسه، وضعتُ سبطانة البندقية على رقبة إيسوب ثم ضغطت على الزناد.

استأجرت رجلاً ليحمل جثة إيسوب إلى إدفاردا.

## XXXVII

ستغادر سفينة البريد ما بعد الظهر.

نزلتُ إلى رصيف الميناء، كانت ملابسي مسبقاً على ظهر السفينة. شدّ السيد ماك على يدي وشجعني على أنني حصلت على جو طيب، وجو ممتع، وهو نفسه ليس لديه اعتراض على أن يقوم بسفرة في مثل هذا الطقس. جاء الطبيب ماشياً، وتبعته إدفاردا؛ شعرت أن ركبتيّ بدأتا بالارتجاف.

«نريد أن نراك على ظهر السفينة»، قال الطبيب.

وأنا شكرته.

تطلعت إدفاردا إلى وجهي مباشرة وقالت:

«علي أن أشكر حضرتكم على كلبك». أطبقت فمها، وكانت شفتاها بيضاوين. مرة أخرى سمّتني حضرتكم.

«متى تغادر السفينة؟».

«بعد نصف الساعة تقريباً».

لم أقل أي شيء.

التفتت إدفاردا بغضب إلى اليمين والى الشمال.

«دكتور، ألا ينبغي أن نذهب إلى البيت ثانية؟»، سألت. «لقد أدّيتُ ما كان غايتي».

«أنتِ انجزت مهمتكِ»، قال الطبيب.

ضَحكَت بتواضعٍ على تصويباته الأبّدية وأجابت:

«حسناً، أليس هذا تقريباً هو، ما قلته؟».

«لا»، أجاب باختصار وبدقة.

نظرت إليه. وقف هذا الرجل الصغير بارداً وحازماً؛ لقد وضع خطة وتابعها حتى الآخر. وإذا خسر على أية حال؟ فسوف لن يبين مع ذلك هذا، لم ينكمش وجهه أبداً.

حلّ الليل.

«حسناً، وداعاً»، قلت، «أشكركم على كل يوم».

حدقت إدفاردا بصمت بي. ثم أدارت رأسها وبقيت واقفة وهي تنظر نحو السفينة.

ذهبت إلى القارب. لا تزال إدفاردا واقفة على رصيف الميناء، وعندما وصلت إلى ظهر السفينة صاح الطبيب وداعاً. نظرت إلى اليابسة، استدارت إدفاردا في اللحظة ذاتها وذهبت مبتعدة عن رصيف الميناء، إلى البيت، بصورة سريعة والطبيب خلفها بمسافة كبيرة.

انسابت موجة من الأسى في قلبي...

وشرعت الباخرة بالإبحار؛ رأيت مجدداً لوحة السيد ماك: مستودع ملح وبراميل خاوية؛ لكن سرعان ما اختفت. ظهر القمر والنجوم، نهضت الجبال من حولنا، ورأيت الغابات اللامحدودة. هناك تقف الطاحونة، هناك، هناك، يقع

كوخي، الذي احترق؛ أما الصخرة الرمادية العالية تقف وحيدة على موقع الحريق. إيسلين، إيفا...

ليل الشمال المضيء ينتشر على الجبال الوديان.

## XXXVIII

كتبت هذا لأقصر الزمن. وأمتعني بأن أتذكّر ما حصل في ذلك الصيف في نورلاند، عندما كنت أعدّ الساعات مراتٍ عديدة، لكن مع ذلك طار الوقت. كلّ شيء تغير، والأيّام لا تريد أن تنقضي.

لا تزال لدي العديد من اللحظات السعيدة، لكن الوقت يقف ساكناً، ولا أفهم، أنه يمكن أن يظل ساكناً للغاية. لقد صُرفت من الخدمة العسكرية وحرّ كأمير، كلّ شيء على ما يرام، ألتقي بالناس، أسوق مركبة؛ وبين الحين والآخر أغمض إحدى عيني وأكتب بالسبابة في السماء، أدغدغ القمر تحت الذقن، وأحسب أنه يضحك، ضحكة كبيرة من فرح مضحك على أنه دغدغ تحت الذقن. كل شيء يبتسم. أدع سدادة قنينة (شراب) تدوّي وأدعو الناس الفرحين.

ما يتعلق بإدفاردا، لم أفكّر عندئذ بها. لماذا ينبغي عليّ أن لا أنساها تماماً خلال كل هذه الفترة الطويلة؟ أملك شرفاً في الحياة. واذا ما سألني أحد، إن كانت لدي بعض الأحزان، فسأجيب بكلّ قوة لا، ليست عندي أية أحزان...

تضطجع كورا وتنظر إلي، تدقّ الساعة فوق الموقد، ويتدفق ضجيج المدينة خارج نوافذي المفتوحة. أحد يدق على الباب، يسلمني ساعي البريد رسالة. كانت الرسالة مختومة. أعرف، ممن هذه الرسالة، وأفهم على الفور، أو ربما كنت أحلم بهذا في ليلة من السهاد. لكن في هذه الرسالة لا شيء مكتوب، ولا تضم سوى ريشتي طائر خضراوين فقط فيها.

رعب جليدي يمر في داخلي، وأشعر بالبرد. ريشتان خضراوان! أقول لنفسي. أوه، وماذا أفعل بذلك! لكن لماذا أصبحت بارداً؟ أنظر، ثَمّ تيار ملعون من الشبابيك هناك.

فأغلق الشبابيك.

هناك الآن ريشتا طير، أواصل التفكير، أعتقد، أن علي أن أعرفهما، إنهما يذكرانني بمزحة صغيرة هناك في أعالي نورلاند، ومثل هذه التجربة الصغيرة بين تجارب عديدة أخرى؛ وكان من الممتع رؤية هاتين الريشتين ثانية. وأظن أنني أرى فجأة وجهاً وأسمع صوتاً، والصوت يقول: تفضل، أيها السيد الملازم، ها هما ريشتا طائر حضرتك!

ريشتا طائر حضرتك...

ابقَي يا كورا مستلقية ساكنة، اسمعي، سأقتلك، إذا تحركتِ! الجو حار، وهناك موجة حر لا تحتمل؛ ماذا فكرت حين أغلقت النوافذ! أفتح النوافذ ثانية، أفتح الباب على مصراعيه، إلى هنا، أيها الناس السعداء، ادخلوا! وأنت، يا رسول المدينة، اذهب في مهمة من أجلي....

واليوم يمر، لكن الوقت يقف ساكناً.

كتبت الآن هذا لأجل متعتي فقط، وسلّيت نفسي بأفضل ما يمكنني. لا يضغط علي أيّ حزن، أتوق فحسب أن أبتعد، إلى أين لا أعرف، لكن بعيداً جداً، إلى إفريقيا تماماً، إلى الهند؛ لأنني أنتمي إلى الغابات وإلى الوحدة.

(1) كانت تباع أيضاً في هذه المحلات أشياء أخرى، بما فيها الخبز.

(2) إبزيم، عروة، دبوس.

(3) طير له جسم صغير مدمج وطبقات إضافية من الشحوم والريش، وهذا ما يساعده على تحمّل الجو.

(4) في أيّام زمان كانت تستخدم أنت Du بالحرف الكبير عند مخاطبة الكبير أو الغريب، والتي تماثل عندنا باللغة العربية «حضرتك» أو «حضرتكم».

(5) دفتر، أو محفظة يستخدمها السمّاكون لحفظ الحشرات لغرض الصيد، وهي تعادل عندنا في الوقت الحالي البوم الصور.

(6) نوع من أنواع لعب الورق.

(7) مشروب يستخدم في أكثر الأحيان لمعالجة الإصابة بالإنفلونزا ولهذا يكون حاراً وهو عبارة عن خليط من الروم والشاي المغلي والليمون وغيرها.

(8) لم أجد مقابلاً لاسم هذا الطائر فأبقيته باسمه النرويجي.

(9) هنا إشارة إلى نوع من الغزلان ذات الذيل الأبيض.

(10) هذه ترجمة غير حرفية لمفردة Du التي تعني أنت، وتستخدم عند المخاطبة تعبيراً عن الاحترام بالتشديد على الحرف الكبير في بداية المفردة وهو أمر لم يعد مستخدماً في الوقت المعاصر.

(11) أي في خارج البلاد.

(12) نبات عشبي من فصيلة الشقيقية تُستخرج منه مادة مخدرة.

(13) نبات الخلنج، هو نبات مرقط بالوان مختلفة ويكون دائم الخضرة.

(14) الكاهن المسؤول عن المنطقة

(15) وتترجم أحياناً «نفس» ترجمة لـ Sjæl

(16) ترجمة غير حرفية لـ Annekskierke عبارة عن كنيسة أو مصلى خاص في أبرشية مستقلة ليس لها راعٍ خاص بها، لكنها تشكل مع أبرشية رئيسية اسقفيةً.

(17) هذه ترجمة غير حرفية لـ Du التي تعني أنت، وهي مخاطبة رسمية فيها بعض التكلف تقابل عندنا بحضرتكم، أو أنتم كما أشرت سابقاً.

(18) ضرب من النقود النرويجية القديمة.

(19) تعديل طفيف على العبارة المستخدمة عادة «Död og Pine» التي تعني «الموت والالم».

(20) ترجمة لـ Knakanوهو نوع من الرقص الفرنسي.

(21) أو يمكن أن تترجم إلى «عصا المشي».

(22) اسم أحد عشاق إيسلين في الأسطورة، وباقي أسماء الأعلام تمثّل أسماء باقي معاشريها.

(23) الحبل الذي يربط الحصان إلى العربة.

(24) يشير إلى لعبة الورق المسماة ويست.

(25) ويسمى أيضاً سمك القديد.

(26) أحد أنواع الطيور التي تعيش في البحر الأطلنطي الشمالي، له وترات بين مخالبه، وله منقار غليظ منضغط وعليه علامات بيض.

(27) هنا إشارة إلى أنها ترتكب خطأً نحويا في تركيب العبارة «mere lykkeligere»

(28) نوع من البط النرويجي يعيش بخاصة في أقصى شمال أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا.

(29) الترجمة الحرفية هي «اعط هذا الأمير سلة».

(30) وهي إشارة إلى ما يحدث عادة في الفترة بين 22 و25 آب، حيث تقع موجات صقيع هائلة.

(31) اللابواني أو الصامي هو من الأقوام الصامية التي تسكن المنطقة الشمالية في عدد من دول أوربا ومنها السويد، جزء من فنلندا، النرويج، وجزيرة كولا الروسية

(32) الترجمة الحرفية «كان يرتدي فستاناً»، وهو من الأزياء التي يتم ارتداؤها في الحفلات.

(33) هنا أيضاً ترجمة غير حرفية التي تكون ترجمتها «هو أيضاً كان يرتدي فستاناً».

(34) هنا بمعنى أنها كانت مرتبة مع ملابس أخرى في حزمة أو حقيبة.

(35) حسب الأسطورة الإغريقية فإنه وحش بمئة عين لا تنام.

(36) «حضرتكم «هنا تعبير عن السخرية

(37) قرية صغيرة تقع في شمال النرويج

(38) نوع من العصافير فضلت أن ابقيها بنفس اسمها لعدم وجود مقابل لغوي لها

(39) من فصيلة زهرة الربيع

(40) مدينة صغيرة لصيد الاسماك في شمال النرويج

(41) Kramboden نوع من المحلات التي تبيع أشياء مستخدمة إضافة إلى الخبز وغيرها.

(42) لبندقية الصيد.

# الفصل 6

موت غلان ورقة من 1861

I

يمكن لعائلة غلان بما فيه الكفاية أن تنشر في الصحف عن المفقود الملازم توماس غلان؛ لكنه لن يعود أبداً، لأنّه مات، وعلاوة على ذلك، أنا أعرف، كيف مات.

عندما أقول هذا أخيراً، فلا يدهشني أيضاً، أن عائلته لا تزال تواصل تحقيقاتها؛ لأن توماس غلان كان من نواح كثيرة رجلاً غير عادي، بله، ومعروف. أعترف بهذا لكي أظهر العدالة، وعلى الرغم من ذلك، لا يزال غلان عدو روحي وتوقظ ذكراه كراهيتي. لقد بدا رائعاً، وكان مفعماً بالشباب، وكائناً مغرياً. عندما يحدق بأحد بنظرته الحيوانية الملتهبة، يحس المرء بشكل كاف بسلطته، حتى أنا شعرت بها. وثمة سيدة يبدو أنها قالت عنه: عندما ينظر لي، أشعر بأنني أضيع، أشعر بحركة من خلال هذا، كما لو أنه يلمسني.

لكن لدى توماس غلان عيوبه، وليس في نيتي أن أخفيها، ما دمت أكرهه. كان بوسعه أن يكون في أوقات صبيانياً كطفل لين العريكة، وربما كان هذا سبب إغوائه النساء، إذن، الله يعلم. كان يستطيع التحدث مع النساء ويضحك على ثرثرتهن الفارغة، ولذا ترك انطباعاً لديهن. قال عن رجل بغيض جداً في المدينة، إنه بدا كما لو أنه كان يرتدي بديناً في بنطاله، وهذه النكتة ضحك نفسه عليها، على الرغم من أنني أخجل من ذلك. في وقت لاحق، بعد أن توصلنا للعيش معاً في منزل، أظهر صبيانيته أيضاً بطريقة ظاهرة للعيان: دخلت صاحبة النُزل ذات صباح عليّ وسألت، ماذا أرغب لطعام الغداء،

وحدث أنني أجبت بسرعة: بيضة وشريحة خبز(43). كان توماس غلان جالساً في ذلك الوقت بالضبط في غرفتي ــ كان يعيش في عليّة فوقي، مباشرة تحت السطح ــ وبدأ يضحك بطفولية على زلة لساني البسيطة وفرحاً بها. بيضة وشريحة خبز!(44) كرر بدون توقف حتى نظرت إليه بدهشة وجعلته يتوقف.

ربما أتذكّر أيضاً العديد من السمات السخيفة منه في وقت لاحق، وفي كل الأحوال سأدوّنها أيضاً ولن أتجنبه، لأنه لا يزال عدوي. لماذا يجب أن أكون نبيلاً؟ لكنني أريد أن أعترف، أنه كان يهذر، عندما كان ثملاً فقط، وكان في كلتا الحالتين المذكورتين أعلاه في حالة سكر شديد. لكن ألا يكون ثملاً بحد ذاته خطأ كبير؟

عندما قابلته في خريف 1859، كان رجلاً يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً، وكنا بنفس العمر. كانت له في ذلك الوقت لحية كاملة وكان يرتدي قمصاناً صوفية، مُقَوّرة(45) الصدر كانت تدعو إلى المبالغة، وعلاوة على ذلك، فقد ترك الزر الأعلى غير مزرر. بدا عنقه لي في البداية أن يكون جميلاً بصورة استثنائية، لكنه جعلني بعد ذلك بفترة قصيرة عدوه اللدود، ولا أرى، أن عنقه كان أجمل من عنقي، لكن عنقي لم يكن عريضاً كعنقه. التقيت به لأول مرة على متن زورق نهري وكنت متوجهاً إلى نفس المكان الذي يتوجه إليه للصيد، وقررنا على الفور أن نترافق لدخول البلاد على عربة ثيران، عندما لا تتمكن السكك الحديدية من نقلنا. أتجنب بجد الإشارة إلى المكان، الذي سافرنا إليه، لكي لا أدل أحداً على أثر؛ لكن يمكن لعائلة غلان أن تتوقف باطمئنان عن الإعلان عن قريبها؛ لأنّه مات بذلك المكان، الذي سافرنا إليه، والذي لا أريد تسميته.

والاّ فقد سمعت كلاماً عن توماس غلان قبل أن أقابله، لم يكن اسمه غريباً عني، لقد سمعت، أنه كان على اتصال بشابة نورلاندية من بيت عريق، وأنه قد أخزاها بطريقة أو أخرى، ولذلك فقد قطعت علاقتها به. لقد رأى هذا في

مشاكسته الغبية، رغم أنه أقسم على أن ينتقم من نفسه، وقد تركته السيدة يفعل بهدوء، كما رغب بهذه الطريقة، وهو أمر لا يهمها. صار اسم توماس غلان من الآن فصاعداً معروفاً أوّلاً بشكل كبير، وقد آذى نفسه بطيش، وجنون. كان يشرب، وقام بفضيحة تلو الاخرى واستقال من الخدمة العسكرية. وكانت طريقة غريبة أيضاً للانتقام من الرفض.(46)

كانت هناك رواية أخرى عن علاقته بالشابة: إنه لم يؤذها على الإطلاق، بل أن عائلتها رفضته شرّ رفض، وأنه قد ساعد بنفسه على هذا، بعد أن طلب يدها كونت سويدي، لا أريد أن أعلن عن اسمه. لكنني أعطي مصداقية أقل لهذه الرواية، وأتمسك بالرواية الأولى باعتبارها أكثر مصداقية، بما أنني أكره مع ذلك توماس غلان وأظنه قادراً على القيام بما هو أكثر سوءاً. لكن أيّا كانت حقيقة الأمر أم لا، فهو نفسه لم يتحدث أبداً عن هذه العلاقة مع السيدة ذات المستوى الرفيع، ولا أنا أيضاً سألته حول هذا الموضوع. ما علاقة الأمر بي؟

بينما كنا نجلس في الزورق، لا أتذكّر أننا تحدثنا عن شيء آخر أكثر غير القرية الصغيرة، التي سنتجه إليها، وحيث لم يكن أحد منا قد زارها سابقاً.

«لا بد أن يوجد فندق هناك»، قال غلان ونظر إلى الخارطة. «إذا كنا محظوظين فيمكننا أن نقيم هناك؛ صاحبة الفندق خلاسية(47) إنجليزية عجوز، قيل لي. رئيس القبيلة يقطن في المدينة المجاورة، ولديه العديد من الزوجات، وبعضهن لا يتجاوز عشر سنوات».

والآن، لم أكن أعرف فيما إذا كان رئيس العشيرة لديه العديد من الزوجات، وفيما إذا كان هناك فندق في المدينة، ولهذا لم أقل أي شيء؛ لكن غلان ابتسم، وأرى أن ابتسامته كانت جميلة.

بالمناسبة، نسيت أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسمى رجلاً كاملاً، على الرغم من أنه بدا وسيماً؛ وقد روى نفسه، أنه كان يسير مصاباً بعيار

ناري في قدمه اليسرى، وأن هذا الجرح كان مليئاً بالروماتيزم عند كل تغّير في حالة الطقس.

II

بعد أسبوع، كنا نقيم في الكوخ الكبير، الذي كان يحمل اسم الفندق، مع الهاليفريد الإنجليزية العجوز. آخ، يا له من فندق! كانت الجدران من الطين وقليلاً من الخشب، وكان ذلك الخشب منخوراً بالنمل الأبيض، الذي تسلل إلى كل مكان. أقمت في غرفة بجانب صالة الاستقبال، فيها نافذة ذات زجاج أخضر تطل على الشارع، وكانت هي لوحة الزجاج الوحيدة، التي لم تكن صافية جداً، واختار غلان جوفاً صغيراً في الطابق العلوي، في العلية، وكانت لديه نافذة أيضاً مطلة على الشارع، لكنه كان مكاناً أكثر سوءاً وظلمة للإقامة فيه. كانت الشمس تسقط ملتهبة مباشرة فوقه وجعلت الحرارة الوضع في غرفته ليلاً ونهاراً غير محتمل تقريباً، إضافة إلى هذا، لم يكن هناك سُلّم، بل درجٌ بائس بأربع درجات يقود إليه. ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟ منحت غلان الخيار، وقلت:

«هنا غرفتان، واحدة في الطابق السفلي وواحدة في الطابق العلوي، فاختر!».

نظر غلان في الغرفتين ثم اختار العليا، ربما لكي يعطيني الأفضل؛ ولكن هل من الممكن أنني لم أكن ممتناً له على ذلك أيضاً؟ لست مديناً بأي شيء له.

ما دامت أسوأ موجة حر مستمرة، تركنا الصيد ولزمنا الهدوء في الكوخ؛ لأن الحرارة كانت شديدة فوق الاحتمال. كنا ننام في الليل تحيط السرير شبكة حماية بسبب الحشرات؛ لكن مع ذلك، كان يحدث أن الخفافيش العمياء كانت تطير بصمت وغضب نحو شبكتنا وتمزقها؛ حصل ذلك لغلان كثيراً، لأنّه كان بحاجة دائمة إلى فتحة في السقف بسبب الحرّ، لكن هذا لم يحدث لي. أما

في النهار فكنا نستلقي على حصير خارج الكوخ، ندخن ونراقب الحياة حول الأكواخ الأخرى. كان السكان الأصليون سُمراً، وذوي شفاه غليظة، وكان للجميع حلقات في آذانهم وعيون بنيّة تفتقر إلى الحياة؛ كانوا شبه عراة، باستثناء قطعة من قماش قطنية أو ضفيرة أوراق أشجار حول الخصر، وكان للنساء، بالإضافة إلى ذلك، أيضاً، فستان قصير من القطن لستر أنفسهن. أما الأطفال فكانوا كلهم عراة ليلاً ونهاراً ذوي بطون كبيرة نافرة ملمعة بالزيت.

«النساء سمينات جداً»، قال غلان.

وكان رأيي أيضاً أنهن سمينات جداً، وربما لم يكن غلان، بل أنا شخصياً، الذي فكرت أوّلاً؛ لكنني لم أتجادل معه حول هذا وأمنحه بكل سرور شرف (الملاحظة). بالمناسبة، لم تكن جميع النساء بشعات، رغم أن وجوههن كانت مكتنزة ومنفوخة. التقيت فتاة في المدينة، شابة نصف تاميلية ذات شعر طويل وأسنان بيض، وكانت أجملهن. اصطدمت بها في إحدى الليالي على حافة حقل رز، كانت مستلقية على بطنها في العشب العالي وتهز ساقيها في الهواء. كان بوسعها أن تتحدث معي، وتحدثنا معاً أيضاً، طالما أردت، وقد كان الصباح تقريباً قبل أن نفترق، ولكنها لم تذهب مباشرة إلى البيت، بل تظاهرت كأنها كانت في المدينة المجاورة كل الليل. في ذلك المساء جلس غلان وسط المدينة، أمام كوخ صغير، مع فتاتين شابتين إلى درجة كبيرة، ربما لا تزيدان على عشر سنوات؛ لقد جلس معهن وغازلهن وشرب معهن بيرة، كان ذلك ذوقه.

بعد أيّام قليلة ذهبنا إلى الصيد. مررنا بمزارع شاي، حقول رز ومراعٍ، وتركنا المدينة خلفنا وذهبنا باتجاه النهر. دخلنا في غابات من أشجار غريبة وعجيبة، خيزران، مانجو، تمر هندي، أشجار الساج والملح والزيت والنباتات الصمغية، نعم، الله يعلم، ما كان نوع كل تلك الأشجار. فلم يكن أحد منا يفهم الكثير عنها. لكن لم يكن في النهر الكثير من المياه، وستستمر مياهه أن تكون ضحلة حتى وقت الأمطار. رمينا حمامات ودجاجات بريات، ورأينا فهدين بعد

الظهر؛ وطارت أيضاً ببغاوات فوق رؤوسنا. رمى غلان بثقة رهيبة، ولم يخطئ إطلاقاً؛ لكن كان هذا أيضاً، لأن بندقيته كانت أحسن من بندقيتي. رميت بثقة رهيبة أيضاً لمرات عديدة. ولم أتباهَ بذلك قطعاً، لكن غلان كان يقول في أغلب الأحيان: هذا أغرزه في المؤخرة، وهذا أحكّه في الرأس؛ كان يقول ذلك، قبل أن يضغط على زناد البندقية، وعندما يقع الطائر، كان هو قد أصابه تماماً في المؤخرة أو الرأس. عندما صادفنا الفهدين، أراد غلان بالتأكيد أن يصطادهما ببندقية صيده، لكنني جعلته يتخلى عن هذا، لأنّها بدأت تظلم، ولم نكن نملك سوى بضع خراطيش. وقد تباهى بهذا أيضاً، بأنه أظهر شجاعة للرمي على الفهدين بطلقات بندقية صيد.

«آسف لأنني مع ذلك لم أطلق النار»، قال لي. «لماذا اللعنة أنت حذر جداً؟ هل تريد أن تعيش أطول؟».

«يسعدني، أنك تجدني أكثر عقلانية منك»، أجبته.

«حسناً، دعنا لا نصبح غير أصدقاء لأمر صغير جداً»، قال حينها.

كانت تلك كلماته وليست كلماتي. لو أراد أن لا يكون صديقاً معي، فهو أمر يناسبني. بدأت أشعر بالنفور تجاهه بسبب سلوكه التافه وشخصيته الإغوائية. فعشية أمس جئت ماشياً مع ماجي التاميلية، التي كانت صديقتي، وكنا الاثنين في مزاج جميل. كان غلان يجلس هناك خارج الكوخ فسلم علينا وابتسم لنا، حين مررنا، لكن ماجي رأته لأول مرة وسألتني بفضول عنه. لقد ترك انطباعاً كبيراً للغاية عليها، وعندما افترقنا، مضى كل في طريقه، ولم ترافقني إلى البيت.

لم يرغب غلان أن يأخذ الأمر على محمل الجد، عندما حدثته حول ذلك، كما لو أن الأمر لم تكن له أية أهمية. لكنني لم أنسَ ذلك. كما أنه لم يكن يضحك ويبتسم لي، حين مررنا بالكوخ، وإنّما إلى ماجي.

«ما هذا الذي تلوكه؟»، سأل.

«لا أعرف»، أجبت، «بالـتأكيد أنها تلوك، ولهذا حصلت على أسنانها».

كما أن الأمر لم يكن جديداً بالنسبة لي، أن ماجي كانت لا تزال تمضغ شيئاً ما، فقد لاحظت هذا منذ وقت طويل. لكن لم يكن نبات التنبول(48) ما كانت تمضغه، لان أسنانها كانت بيضاً تماماً، من ناحية أخرى، اعتادت هي على مضغ كل الاشياء الأخرى، تدفعه في فمها وتمضغ فيه، كما لو أنه كان شيئاً جيداً. وأمكن أن يكون أي شيء، عملات معدنية، قصاصات ورق، ريش طيور، إلا أنها كانت تلوكها. لكن في كل الاحوال لم يكن هذا على الإطلاق سبباً للحطّ من شأنها، لما كانت هي أجمل فتاة في القرية بالرغم من هذا؛ كان غلان يغار مني، هذه هي القضية.

في الليلة التالية صرت بالمناسبة ثانية صديقاً حميماً مع ماجي، ولم نرَ أثراً لغلان.

III

مضى أسبوع الآن، وكنا نذهب كل يوم إلى الصيد ونطلق النار على عدد من الطرائد. ذات صباح، بينما دخلنا في الغابة تماماً، تناول غلان بندقيته وهمس: توقف! وبنفس الوقت أسند البندقية إلى خده وأطلق النار. ما رماه كان فهداً صغيراً. كان بإمكاني أيضاً أن أصطاده عند ذاك، لكن غلان احتفظ بهذا الشرف لنفسه ورمى أوّلاً. كم سيتباهى الآن ثانية! فكرت. نقترب من الحيوان الميت، الميت تماماً، وقد تمزق من الجهة اليسرى، وكانت الطلقة مستقرة في الظهر.

لا أحب أن أمسك من ذراعي، لهذا قلت:

«هذه الرمية كان بإمكاني أن أقوم بها أيضاً».

نظر غلان إليّ.

أقول ثانية:

«ربما لا تعتقد، أن بوسعي القيام بذلك؟».

لم يجب غلان الآن أيضاً. بدلاً عن ذلك فإنه يعرض لهذا مرة أخرى صبيانيته ويطلق النار على الفهد الميت مجدداً، هذه المرة خلال الرأس. أرى السماء تسقط على رأسه.

«حسناً»، قال للتوضيح، «أمر لا يليق بي، أنني قد أصبت فهداً بجانبه».

كان يعز على كبريائه إلى درجة كبيرة، أنه قد أطلق تلك الطلقة المتواضعة للغاية، فهو يريد أن يكون دائماً الأول. كم كان أحمقَ! لكنها لم تكن قضية تخصني، ولا أريد أن أفضحه.

في المساء، عندما وصلنا إلى المدينة مع هذا الفهد الميت، حضر عدد من أبناء المدينة الأصليين لكي تراه. قال غلان بالمناسبة، إننا اصطدناه في الصباح فحسب، ولم يضف إلى ذلك أكثر حينذاك. حضرت ماجي إلى المكان أيضاً.

«مَن رماه؟»، سألت هي.

فأجاب غلان: «كما ترين طبعاً، جرحان، لقد رميناه في هذا الصباح، أثناء خروجنا». وقلب الحيوان وعرض عليها الجرحين، كليهما، الموجود في الجانب والموجود في الرأس. «من هنا مرت طلقتي»، قال وأشار إلى الجرح الموجود في الجانب، لأنّه أراد من حماقته، أن يترك الأمر لي كي أصيبه في الرأس. لم أرغب في تصويبه ولم أفعل ذلك أيضاً. بدأ غلان بتقديم بيرة الرز إلى السكان الأصليين، بل وزع عليهم كمية، لمن أراد أن يشرب.

«هل أصبت الاثنين»، قالت ماجي لنفسها، وكانت تنظر طوال الوقت بغلان.

سحبتها معي إلى جانب وقلت:

«لماذا تحدقين به كل الوقت؟ ربما لا أقف قريباً أيضاً؟».

«بلى»، أجابت. «واسمع: سآتي الليلة».

في اليوم التالي كان أن استلم غلان الرسالة. جاءت رسالة مستعجلة بالذات إليه من محطة النهر، وقد ذهبت في طريق مغاير بطول مئة وثمانين ميلاً. كانت الرسالة مكتوبة بيد سيدة، وقد فكرت مع نفسي، إنها ربما كانت من صديقته السابقة، من السيدة ذات المقام الرفيع. ضحك غلان بعصبية، عندما قرأها، وأعطى ساعي البريد ورقة نقدية إضافية، لأنّه جاء بهذه الرسالة. لكن الأمر لم يستغرق وقتاً طويلاً، قبل أن يصبح صامتاً ومعتماً ولم يقم بأي شيء آخر سوى أن يحدق مباشرة أمامه. في المساء شرب حتى الثمالة مع قزم عجوز وابنه من السكان الاصليين، وقد عانقني أيضاً وأراد مني أن أشرب، بالتأكيد، معه.

«تبدو محبوباً هذا المساء»، قلت.

فضحك بصوت عال جداً وردّ:

«هنا نقيم نحن الاثنين في وسط الهند ونطلق النار بطيش، ها؟ أليس هذا الأمر مضحكاً بشكل مخيف؟ وبصحة كل الممالك والبلدان، وبصحة كل النساء الجميلات، المتزوجات وغير المتزوجات، البعيدة والقريبة. هوْ ـ هوْ! تصور رجلاً، وأن امرأة تطلب يده، امرأة متزوجة!».

«كونتيسة!»، قلت بشكل لاذع. قلت هذا بشكل لاذع للغاية، وقد آلمه ذلك، وقد تأوه مثل كلب، لأن ذلك آلمه. ثم قطب جبينه فجأة وراح يرمش بعينيه ويفكر ملياً، فيما إذا كان ينبغي أن يسرف في الكلام، فتظاهر باحتفالية بالسر

الصغير. لكن جاءت بنفس الوقت ثلّة من الأطفال راكضين نحو كوخنا وكانوا يصرخون ويصيحون: «النمور، أوهووي، Ohoi، النمور!»، هناك طفل اختطفه نمر عند تخوم القرية تقريباً، في خميلة بين النهر والمدينة.

كان ذلك كافياً لغلان، الذي كان ثملاً وفي مزاج محطم، تناول البندقية الطويلة وقفز في لحظة إلى الخميلة؛ حتى أنه لم يكن يرتدي طاقيته. لكن لماذا أخذ بندقيته الطويلة الآن، بدلاً من بندقية الصيد، إذا كان هو حقاً شجاعاً؟ وجب عليه أن يخوض عبر النهر، والذي لم يكن بدون خطر، لكن النهر كان في الحقيقة أيضاً جافاً تقريباً حتى حلول موسم الأمطار؛ بعد لحظة سمعت طلقتي نار وعلى الفور طلقة ثالثة. ثلاث طلقات على حيوان! فكرت؛ لو كان أسداً لسقط بطلقتين، أما هذا فليس سوى فهد! لكن حتى هذه الطلقات الثلاث لم تكن مجدية، فقد تم تمزيق الطفل على الرغم من ذلك تمزيقاً وتم أكل نصفه، عندما وصل غلان؛ فلو لم يكن سكرانَ، لما أراد القيام أيضاً بمحاولة لإنقاذه.

قضى الليل بلا قلق في الكوخ المجاور مع أرملة وابنتيها، ويعلم الله مع أي منهنّ.

على مدى يومين لم يكن غلان صاحياً للحظة واحدة، كما أنه حصل على العديد من رفاق الشراب. ودعاني دون جدوى لأشارك في السكر، ولم يعد يهتم بما قاله، وكان يلومني على أنني كنت أغار منه!

«تعرف ماذا»، قلت، «أغار منك! لماذا ينبغي أن أكون غيوراً منك؟».

«لا لا، إذن أنت لست غيوراً مني»، أجاب.

«بالمناسبة، لقد سلمت على ماجي في هذا المساء، وكانت تلوك كالعادة».

كتمت جوابي وغادرت.

IV

بدأنا مجدداً بالذهاب إلى الصيد. شعر غلان، أنه أساء لي وطلب مني أن يعتذر حول هذا.

«بالمناسبة، أنا آسف بشكل مخز على كل شيء»، قال؛ «كنت أتمنى، أنك رميت بصورة خاطئة ذات يوم ووجهت لي طلقة في حنجرتي». مثل هذه الأفكار تجنب أن يلتزم بها، بحيث أنني أوجه له طلقة في الحنجرة. ربما كانت رسالة الكونتيسة مجدداً، التي توقدت في ذاكرته، وأجبت:

«مثلما تعد العش، تبيض».(49)

أصبح في كل يوم أكثر صمتاً وتجهماً، لم يعد يشرب، كما لم يقل كلمة واحدة؛ وأصبحت وجنتاه غائرتين.

في أحد الأيّام سمعت فجأة لغطاً وضحكاً خارج نافذتي، ورأيت، أن غلان استرد ثانية هيئته المرحة ووقف يتحدث بصوت عالٍ مع ماجي. استخدم كل فنونه الساحرة. لابد أن ماجي جاءت مباشرة من بيتها، وقد اعتنى غلان بها. لم يفكرا حتى أن يجتمعا خارج نافذتي مباشرة.

أحسست بقشعريرة في كل أعضائي، ربطتُ الديكَ على بندقيتي، لكنني تركته يذهب ثانية. خرجت إلى الساحة وأخذت ماجي من ذراعها؛ وتوجهنا بصمت نحو المدينة؛ اختفى غلان على الفور في الكوخ.

«لماذا تتكلمين مجدداً معه؟»، سألتُ ماجي.

فلم تجب.

كنت يائساً حتى الموت، وكان قلبي يخفق بقوّة لدرجة أنني بالكاد أستطيع التنفس. لم أرَ ماجي أبداً أكثر جمالاً من ذلك الحين، ولم أرَ أبداً فتاة بيضاء

تماماً جميلة جداً، ولهذا نسيت، أنها كانت تاميلية ونسيت كل شيء من أجلها.

«أجيبيني»، قلت، «لماذا تتكلمين معه؟».

«أودّه بشكل أفضل»، أجابت.

«تودينه أكثر مني؟».

«نعم».

حسناً، إنه يروق لها أكثر، رغم أنني أستطيع بصورة كافية، أن أكون نداً له!

ألم أكن دائماً لطيفاً معها واعطيتها مالاً وهدايا؟ فما الذي قام به؟

«كان يكذب عليك، إنه يقول، إنّك تشحذين»، قلت.

لم تفهم، فأوضحت لها بصورة أفضل، بأنها عادة ما كانت متعودة دائماً على أن تحشو في فمها كل شيء وتمضغه، وأن غلان لهذا السبب كان يسخر منها. وقد ترك هذا أثراً أكبر عليها من كل شيء آخر قلته.

«اسمعي هنا، يا ماجي»، قلت مواصلاً، «ستكونين لي إلى الأبد؛ ألا تريدين هذا؟ لقد فكرت بالأمر، ينبغي أن ترافقيني، عندما أسافر من هنا، أريد أن أتزوجك، هل تسمعين، وسنسافر إلى بلادي ونقيم. تريدين بالتأكيد؟».

وهذا ترك أثراً فيها أيضاً، أصبحت ماجي حيوية وتحدثت كثيراً طيلة النزهة. وقد ذكرت غلان مرة واحدة فحسب، وسألت:

«هل سيكون غلان معنا، عندما نسافر؟».

«كلا»، أجبت، «لن يقول بذلك. هل أنت آسفة لذلك؟».

«لا، لا»، أجابت بسرعة، «أنا سعيدة لهذا السبب».

ولم تقل أكثر عنه، وشعرتُ بالاطمئنان. ذهبت ماجي معي إلى البيت أيضاً، عندما طلبت منها ذلك.

وعندما غادرتني بعد بضع ساعات لاحقاً، صعدت السلم المؤدي إلى غرفة غلان وطرقت على الباب القصبي الرفيع. كان في البيت. قلت:

«جئت لأقول لك، بأن علينا أن لا نذهب ربما إلى الصيد غداً».

«لماذا لا؟»، سأل غلان.

«لأنني لا أضمن، أنني لن أرمي بصورة خاطئة، وأنني لن أعطيك طلقة في الحنجرة».

لم يجب غلان، ونزلت ثانية. بعد هذا التحذير لم يجرؤ بالطبع على الذهاب إلى الصيد غداً؛ لكن لماذا جذب ماجي معه أيضاً تحت شباكي ومزح بصورة صاخبة معها؟ لماذا لم يسافر إلى بلاده ثانية، عندما دعته الرسالة حقاً أن يعود؟ بدلاً من ذلك راح غالباً وصرّ على أسنانه ونادى في الهواء: «أبداً، أبداً! قبل أن أتمزق إرباً!».

لكن في الصباح بعد أن وجهت إليه هذا التحذير في المساء، وقف غلان مع ذلك أمام سريري وصرخ:

«انهض، انهض، يا رفيق، إن هذا هو أجمل طقس، علينا أن نصطاد شيئاً. بالمناسبة، ما قلته مساء الأمسِ كان من الحماقة».

لم تبلغ الساعة حتى أكثر من الرابعة، لكنني وقفت حالاً وهيأت نفسي لكي أذهب معه، لأنّه استهان بتحذيري. عبّأت بندقيتي، قبل الخروج، وتركته واقفاً يشاهد ما فعلت. كان الطقس علاوة على ذلك ليس الأجمل، كما قال، كانت

تمطر، وبالتالي فقد سخر مني أكثر من ذلك؛ لكنني تظاهرت كأن شيئاً لم يكن وذهبت صامتاً.

طفنا طوال النهار في الأحراش، كل منا مشغول بأفكاره. لم نطلق النار على أي شيء، وقد أضعنا الطريدة بعد الأخرى، لأننا كنّا نفكر بأشياء أخرى غير الصيد. بدأ غلان بعد الظهر يتقدم في السير أمامي بعض الشيء، كما لو أنه سيقدم لي فرصة أفضل لأفعل معه ما أريد؛ كان يسير أمام فوهة بندقيتي تماماً، لكن هذا الازدراء تحملته أيضاً. عدنا إلى المنزل عند المساء دون أن يحدث شيء. فكرت: ربما أنه الآن سيهتم بنفسه ويترك ماجي تذهب بسلام!

«هذا اليوم كان أطول يوم في حياتي»، قال غلان في المساء، عندما وقفنا في الكوخ.

ولم يعد هناك حديث بيننا.

في الأيّام التالية كان في أحلك مزاج، لا يزال بسبب نفس الرسالة بالتأكيد. «لا أحتمل هذا تماماً، لا، لا أحتمل هذا!»، قال هذا أحياناً في الليل؛ وقد سمعنا ذلك خلال كل الكوخ. تمادى مزاجه السيّئ إلى حد بعيد، حتى أنه لم يرد على أكثر الأسئلة الودية من مضيفتنا، وعلاوة على ذلك كان يتأوه في نومه. ضميره مثقل بالكثير! فكرت. لكن لماذا بحق السماء لا يسافر إلى بلاده؟ بلا شك أن كبرياءه منعه من هذا، فهو لا يريد أن يكون هذا الذي يعود ثانية، عندما يتم رفضه مرة.

قابلت ماجي كل مساء، ولم يعد غلان يتكلم معها. وقد لاحظت، أنها توقفت عن المضغ، أنها لم تعد تمضغ على الإطلاق، وقد سعدت لذلك وفكرت: إنها لم تعد تمضغ، هذا يعني عيب أقل، أنا أحبها ضعف ما أحب! في أحد الأيّام سألت هي عن غلان، سألت بحذر كبير جداً. ألم يكن معافى. هل سافر؟».

«إذا لم يكن مات أو سافر»، أجبت، «فأنه بالتأكيد يمكث في البيت. الأمر سيان بالنسبة لي. فلا يمكن احتماله لفترة طويلة».

لكن عندما وصلنا بنفس الوقت إلى الكوخ، وقع نظرنا على غلان كان يتمدد على بساط في الحقل ويداه تحت رقبته ويحدق في السماء.

«إنه يضطجع هناك بالمناسبة»، قلت.

توجهت ماجي مباشرة إليه، قبل أن أتمكن من منع ذلك، وقالت بصوت فرح: «لم أعد أمضغ، انظر بنفسك! لم أعد أمضغ أي ريش، ولا قطع نقود، ولا قصاصات ورق».

بالكاد نظر إليها غلان واستمر مستلقياً بهدوء؛ بينما ماجي وأنا ذهبنا. عندما أنّبتها، بأنها حنثت بوعدها وتحدثت مع غلان مرة أخرى، أجابت، أنها أرادت فقط أن تخبره أن تصرفه خاطئ.

«حسناً، هذا شيء جيد، أن تصوّبيه». قلت؛ «لكن أكان ذلك من أجله، أنك توقفت حينئذ عن المضغ؟».

لم تجب. ماذا، ألا تريد أن تجيب؟

«قولي، أتسمعين، أ كان ذلك من أجله؟».

«لا، لا»، بذلك أجابت، «كان من أجلك».

وما كان بوسعي أيضاً أن أصدق شيئاً آخرَ. لماذا سيجعلها تفعل شيئاً من أجل غلان؟

وعدت ماجي أن تأتي إليّ في المساء، وقد جاءت أيضاً.

جاءت في الساعة العاشرة، سمعت صوتها في الخارج، كانت تتحدث بصوت عال مع طفل كانت تقوده من يده. لماذا لم تدخل، ولماذا أحضرت الطفل معها؟ كنت أراقبها وصار لدي إحساس أنها ترسل إشارة من خلال التحدث عالياً جداً مع الطفل، وأرى أيضاً، أنها تركز أنظارها على العلية باتجاه نافذة غلان. هل كان قد أومأ برأسه أو لوّح بيده من خلف زجاج النافذة إليها، عندما سمعها تتحدث في الخارج؟ لقد فهمتُ في كل الأحوال كثيراً للغاية، لدرجة أن المرء لا يحتاج أن ينظر إلى الأعلى، عندما يتحدث مع طفل في الأسفل على الأرض.

كنت بدأت للتو الخروج إليها وأخذها من ذراعها؛ لكن في نفس اللحظة التي تركت يد الطفل، تركته واقفاً ودخلت بنفسها من الباب إلى الكوخ، وتقدمت في الممر. حسناً، لقد جاءت أخيراً، وأنا سأعاقبها بحزم، عندما تصل!.

أقف الآن وأسمع ماجي تدخل في الممر، ولم أكن مخطئاً، أنها كانت تقريباً عند بابي. لكن بدلاً من المجيء إليّ، أسمع خطى قدميها تصعد السلّم، نحو الأعلى إلى العلية، إلى مغارة غلان، وأسمع ذلك جيداً. أدفع الباب وأفتحه على مصراعيه، لكن ماجي كانت قد وصلت مسبقاً إلى الأعلى، والباب يغلق خلفها، ولم أعد أسمع أيّ شيء على الإطلاق. كان ذلك في الساعة العاشرة.

أذهب وأجلس في غرفتي، وأتناول بندقيتي وأحشوها، على الرغم من أن الوقت كان منتصف الليل. الساعة الثانية عشرة، تسلقت السلّم وتنصت عبر باب غلان، أسمع ماجي في الداخل، أسمع أنها كانت طيبة نحوه، فأنزل ثانية. في الساعة الواحدة أذهب مرة أخرى إلى الأعلى، عندما كان كل شيء هادئاً. أنتظر خارج الباب حتى يستيقظان، تصير الساعة الثالثة، والرابعة، وعندما صارت الخامسة استيقظا. هذا أمر جيد! فكرت، ولم أفكّر بشيء آخر سوى أنهما كانا مستيقظين الآن، وأنّهما كانا في حالة حسنة جداً. لكنني بعد وقت قصير سمعتُ ضوضاء واضطراباً في الأسفل في الكوخ، (قادم) من غرفة صاحبة النُزل، وكان عليّ أن أشرع بالنزول بسرعة إلى الأسفل لكي لا أكون

متفاجئاً بها. كان غلان وماجي مستيقظين بشكل واضح، وكان بوسعي أن أتنصت إلى أكثر من ذلك بكثير، لكن كان عليّ أن أذهب.

في الممر قلت لنفسي: انظر، هنا ذهبت هي، وقد مسحت على بابي بذراعها، لكنها لم تفتح الباب، صعدت السلم مرة أخرى، والسلم موجود هنا أيضاً، وقد سارت على هذه الدرجات الأربع.

لا يزال سريري لم يُمسّ، ولم أضطجع فيه حتى الآن، لكنني جلست عند النافذة، ومررت قليلاً بأصابعي على بندقيتي.(50) لم يكن قلبي يخفق، بل كان يرتعش.

أسمع بعد نصف ساعة مجدداً خطى ماجي على السلم. ألتصق بزجاج نافذتي وأرى، إنها تخطو خارج الكوخ. كانت ترتدي فستاناً قطنياً قصيراً لا يصل حتى إلى ركبتيها، وعلى كتفيها وشاح صوفي آخر، الذي استعارته من غلان. وإلاّ فقد كانت عارية تماماً، كما كان الفستان مجعّداً جداً. مشت ببطء، كما هي عادتها دائماً، ولم تنظر حتى إلى نافذتي. ثم اختفت خلف الكوخ.

بعد فترة وجيزة نزل غلان وبندقيته تحت ذراعه معدة تماماً للصيد. كان متجهماً ولم يُلقِ التحية. علماً أنه قد تجمّل وجعل نفسه يبدو جميلاً وجذاباً بشكل استثنائي.(51) لقد تزيّن، كعريس، فكرتُ.

حضّرت نفسي على الفور وذهبت معه، ولم يقل أحدنا أي شيء. قطعنا الدجاجتين اللتين اصطدناهما أوّلاً إلى أجزاء بشكل مثير للشفقة، لأننا اصطدنا ببندقية صيد، لكننا شويناهما تحت شجرة، بقدر ما استطعنا، وأكلناهما في صمت. حتى حان وقت الساعة الثانية عشرة.

نادى غلان عليّ:

«هل أنك متأكد، أنك حشوت بندقيتك؟ ربما نصطدم بشيء غير متوقع. عبئ بندقيتك على أية حال».

«لقد حشوت بندقيتي»، أجبتُ.

ثم اختفى لحظة خلف أجمة. كم سيكون مفرحاً لي أن أطلق النار عليه، وأحرقه ككلب! لا داعي إلى الاستعجال، لا يزال بإمكانه أن يكون مفيداً عند التفكير بالأمر، وقد فهم بوضوح بما فيه الكفاية، ما كان يدور بذهني، ولهذا سأل هو أيضاً، عمّا إذا كنت حشوتُ (بندقيتي). حتى اليوم لم يستطع إلاّ أن يستسلم إلى غطرسته، فقد زيّن نفسه وارتدى قميصاً جديداً؛ وكانت ملامحه متغطرسة بإسرافٍ.

في الساعة الواحدة يتوقف شاحباً وغاضباً أمامي ويقول:

«لا، لا أستطيع احتمال هذا! انظر مع ذلك فيما إذا كنت حشوتَ، يا رجل، أن كان شيء في بندقيتك».

«أطلب منك أن تعتني ببندقيتك»، أجبتُ. لكنني كنت أعرف جيداً، لماذا كان يسأل باستمرار عن بندقيتي.

وابتعد مجدداً عني. فقد أظهرت إجابتي بوضوح، أنه أصبح وديعاً، وأطرق برأسه عندما غادر.

بعد وقت قصير اصطدتُ حمامة وحشوت بندقيتي ثانية. بينما شرعت بذلك، وقف غلان نصف مختبئ خلف جذع شجرة وهو ينظر إليّ ويراقب أنني أحشو (بندقيتي) حقاً، وبعد ذلك بقليل، يبدأ بغناء أنشودة دينية بصوت عال وواضح، وكانت هذه علاوة على ذلك أنشودة زواج. يغني تراتيل العرس ويرتدي أفضل ملابسه، فكرتُ، ويحسب هو بهذه الطريقة الآن، أن يكون في قمة روعته اليوم. أكثر من هذا وقبل أن يغني أغنيته حتى النهاية، شرع السير أمامي

برأس منحنٍ بسرعةٍ، وبينما كان يمشي، واصل الغناء. لقد بقي أمام فوهة بندقيتي، كما لو أنه فكر: حسناً، انظر، الآن سيحصل الأمر، لهذا أغني أنا الآن أنشودة العرس! لكن لم يحدث أي شيء حتى الآن، وعندما صمت، كان عليه أن يلتفت وينظر إليّ.

«مع ذلك لم نصطد أيّ شيء اليوم»، قال وابتسم ليعتذر مني، أنه غنى في الصيد، ويجعل الحال على ما يرام ثانية. لكن حتى في تلك اللحظة كانت ابتسامته جميلة، كان الأمر، كما لو أنه بكى في أعماقه، وقد ارتعشت شفتاه أيضاً، على الرغم من أنه جعل نفسه قادراً على الابتسام في هذه اللحظة الخطيرة.

لم أكن امرأة إطلاقاً، وقد رأى هذا بشكل كافٍ، بأنه لم يترك أي انطباع عليّ، وأصبح نافد الصبر، شاحباً، وكان يدور حولي بخطى محمومة، أحياناً إلى يميني وأحياناً إلى شمالي، وفي بعض الأحيان كان يتوقف وينتظرني. عند الخامسة سمعت فجأة دويّاً، وصفرت طلقة مرت قرب أذني اليسرى. نظرت إلى الأعلى، كان غلان يقف بلا حركة بمسافة بضع خطوات مني ويحدق بيّ، وكانت بندقيته التي تصاعد منها الدخان تلازم ذراعه. هل أراد أن يطلق النار عليّ؟ قلت:

«لقد أخطأتَ، تسديدك رديء في الأيّام الاخيرة».

لكنه لم يطلق النار مطلقاً، ولم تخب إطلاقته أبداً، أراد فقط أن يغضبني.

«حسناً، انتقم لنفسك، بحق الشيطان!»، ردّ صارخاً.

«عندما يحل وقتي»، قلت، وأنا أصر على أسناني.

كنا نقف وننظر إلى بعضينا، وفجأة هزّ غلان كتفيه ويصرخ «جبان»، عليّ. لماذا كان عليه أن يسميني أيضاً جبان؟ رفعت بندقيتي إلى خدي، وسددتها

على وجهه مباشرة وضغطت على الزناد.

مثلما تُعد العشَ، تبيض.(52)

لكن عائلة غلان لم تعد مضطرة الآن إلى البحث أكثر عن هذا الرجل، لا يزال يزعجني أن أصادف هذا الإعلان البليد عن مكافأة كبيرة كذا وكذا لمن يقدم معلومات عن ميت. توفي توماس غلان إثر حادث طارئ، أصيب بعيار ناري طائش في الصيد في الهند. حفظت المحكمة اسمه ونهايته في بروتوكول بصفحات مختومة،(53) وذكر في هذا البروتوكول، أنه مات، أقول لكم، بل، وعلاوة على ذلك، أنه مات بطلقة طائشة.

(43) قال Et Æg og en skive brød حيث كان من المفروض أن يقول En Æg og et skive brød واستخدامه للجملة الاولى هو استخدام نحوي خاطئ.

(44) قام بتكرار نفس العبارة الخاطئة نحوياً التي أشرت إليها سابقاً.

(45) بمعنى أنه تمت خياطتها بطريقة بحيث أن جزءاً كبيراً من الصدر كان ظاهراً.

(46) إشارة إلى الرفض الذي واجهته به الفتاة.

(47) ترجمة لـ Halfbreed ويمكن ترجمتها أيضاً إلى مهجّن، تطلق على الشخص الذي يتولد عن عنصرين مختلفين، مثلا أوربي وهندي.. أو ما شابهه.

(48) نبات من الفصيلة الفلفلية.

(49) مثل نرويجي، بمعنى، أن الإنسان يتلقى نتائج أفعاله.

(50) هنا يشير إلى بندقية أخرى وهي بندقية الصيد.

(51) هذه ترجمة غير حرفية لـ Og gjort sig usædvanlig flid med sit toilette والتي تعني قام باستخدام أدوات التواليت بشكل فعال استثنائي.

(52) هذا مثال شائع وهي ترجمة حرفيه، بمعنى «إن الانسان يتلقى نتائج أفعاله».

(53) بالأحرى أن البروتكول مزود بخيط أو أكثر من الخيوط المختومة التي تمر عبر كل ورقة، حيث تجعل من المستحيل إزالة أية ورقة أو استبدال واحدة بأخرى.

# الفصل 7

الفهرس

# النهاية - الفصل 8

تم تحميل هذا الكتاب بواسطة https://t.me/rufoofbot نحرص على توفير الكتب بجودة عالية وسهولة الوصول إليها. نأمل أن تجدوا الفائدة المرجوة من هذا الكتاب. لطلب كتب أخرى أو للحصول على المساعدة، لا تترددوا في التواصل معنا.